

نارک الملائکۃ



شطایا ورماد

تصديقاً على المحبة وتقديرى ، اهدى
هذه المجموعة من شعري الى الوديع
الدستاد عبد الرحمن بدوي .
تأذك المبركة

١٥ - ١٠ - ١٩٤٩

شظايا ورماد

مقدمة

في الشعر ، كما في الحياة ، يصح تطبيق عبارة برناردشو :
« اللامعنة هي القاعدة الذهبية » ، لسبب هام ، هو أن الشعر وليد
أحداث الحياة ، وليس للحياة قاعدة معينة تتبعها في ترتيب أحداثها ،
ولا نماذج معينة للالوان التي تتلون بها أشتاؤها واحاسيسها . ولا
تناقض بين هذا الرأي وما يقسم اليه النقاد الشعر من مدارس
ومذاهب حين يقولون « كلاسيكي ، رومانتيكي ، واقعي ، رمزي ،
سريالي ... » فهذه كلها ليست قواعد ، وإنما هي احكام .

وقد يرى كثيرون معي ان الشعر العربي ، لم يقف بعد على
قدميه ، بعد الرقعة الطويلة التي جثمت على صدره طيلة القرون
المنصرمة الماضية . فنحن عموماً ما زلنا اسرى ، تسيرنا القواعد التي
وضعها اسلافنا في الجاهلية وصدر الاسلام . ما زلنا نلهث في قصائدنا
وننجز عواطفنا المقيدة بسلاسل الأوزان القديمة ، وقرعة الألفاظ
الميتة ، وسدى بمحاول افراد منا أن يخالفوا فاذ ذاك يتصدى لهم
ظلف غيور على اللغة ، والى حريص على التقاليد الشعرية التي

ابتكرها واحد قديم ادرك ما يناسب زمانه ، فجمّدنا نحن ما ابتكر
واتخذناه سنّة . كأن سلامة اللغة لا تتم إلا إن هي جمدت على ما كانت
عليه منذ ألف عام ، وكأن الشعر لا يستطيع ان يكون شعراً ان
خرجت تفعيلاته على طريقة الخليل .

ويقولون : ما لطريقة الخليل ؟ وما للغة التي استعملها آباؤنا منذ
عشرات القرون ؟ والجواب اوسع من ان يمكن بسطه في مقدمة قصيرة .
لديوان . ما لطريقة الخليل ؟ . . ألم تصدأ لطول ما لامستها الأقلام
والشفاه منذ سنين وسنين ؟ ألم تألفها اسماعنا ، وترددوها شفاها ،
وتعلّمها اقلامنا ، حتى مجتها وتقيأتها ؟ منذ قرون ونحن نصف
انفعالاتنا بهذا الاسلوب حتى لم يعد له طعم ولا لون . لقد سارت
الحياة ، وتقلبت عليها الصور والألوان والاحاسيس ومع ذلك ما زال
شعرنا صورة لقفا نيك وبانت سعاد . الاوزان هي هي ، والقوافي
هي هي ... وتكاد المعاني تكون هي هي ؟

ويقولون : ما للغة ؟ وآية ضرورة الى منحها آفاقاً جديدة ؟
فينسون ان اللغة إن لم تركض مع الحياة ماتت . والواقع ان اللغة
العربية لم تكتسب بعد قوة الابهاء ، التي تستطيع بها مواجهة اعاصير

القلق والتحرق التي تملأ أنفسنا اليوم . انها قد كانت يوماً لغة
موحية ، تتحرك ونضجك وتبكي وتعصف ، ثم ابتليت بأجيال من
الذين يجيدون التحنيط وصنع التماثيل ، فصنعوا من الفاظها « نسخاً »
جاهزة ، ووزعوها على كتائبهم وشعرائهم ، دون ان يدركوا ان
شاعراً واحداً قد يصنع لغة ما لا يصنعه الف نحوي ولفوي مجتمعين .
ذلك ان الشاعر باحساسه المرفه وسمعه اللغوي الدقيق ، يمد للالفاظ
معاني جديدة لم تكن لها ، وقد يخرق قاعدة مدفوعاً بحسه الفني ،
فلا يسيء الى اللغة ، وإنما يشدّها الى الامام . الشاعر أو الأديب إذن
هو الذي تتطور على يديه اللغة اما النحوي واللفوي فلا شأن لهما بها .
النحوي واللفوي عليهما واجب واحد هام . واجب الملاحظة
واستخلاص قواعد عامة من كلام « المرفهين » من الكتاب
والشعراء .

على ان الاديب الذي سنتفق على تسميته « مرفهاً » ، لا بد ان
يملك ثقافة عميقة تمت جذورها في صميم الادب المحلي قديماً وحديثه ،
مع اطلاع واسع على أدب أمة أجنبية واحدة على الأقل ، بحيث يتنبأ
الله حس لغوي قوي ، لا يستطيع معه ان هو خلق ، إلا أن يكون

ما خلق جمالاً وسموا . فاذا خرق قاعدة ، أو أضاف لونا إلى لفظة ،
أو صنع تعبيراً جديداً ، أحسنا انه أحسن صنفاً ، وأمكن لنا أن
نعد ما ابداع وخرق ، قاعدة ذهنية .

ولن نقف وظيفة الاديب المراهف ، عند خرق قاعدة هنا ،
واضافة معنى هناك ، وإنما سيكون عليه واجب أدق من هذا تعرضه
عليه طبيعة التطور ، في اللغات الانسانية الحية . سيكون عليه ان
يدخل تغييراً جوهرياً على القاموس اللفظي المستعمل في أدب عصره ،
فيترك استعمال طائفة كبيرة من الالفاظ التي كانت مستعملة في القرن
المنصرم ويدخل مكانها الفاظاً جديدة لم تكن مستعملة . ذلك لان
الالفاظ تَخْلَقُ كما يَخْلُقُ كل شيء يمرّ عليه إصبع الاستعمال في
هذه الحياة المتغيرة ، وهي تكتسب بمرور السنين ، جهوداً يسبغه عليها
التكرار ، فتفقد معانيها الفرعية شيئاً فشيئاً ، ويصبح لها معنى واحد
محدود ، يشل عاطفة الاديب ، ويحول دون حرية التعبير .

ثم ان هنالك سبباً آخر هاماً يستدعي هذا الاستبعاد للالفاظ
التي كثر استعمالها ، هو أن الاذن البشرية تمل الصور المألوفة والاصوات
التي تتكرر ، وتستطيع ان تجردها من كثير من معانيها وحياتها .

وخير مثال لهذا اننا تنفر الآن بطبيعتنا من استعمال الفاظ كهذه :
« عمبر ، كافور ، غصن بان ، قد ، هلال ، صدغ ، عود ، نرجس ،
لؤلؤ » وهي الفاظ كانت في بعض العصور السالفة تبدو رقيقة
شعرية ، وربما كانت يوماً مما لا يستعمله إلا المجددون من
الشعراء .

وقد لاحظت خلال دراستي للآداب المعاصرة ، هذه الملاحظة
الطريفة . لاحظت اننا ، في هذا العصر ، قد أصبحنا ننسى المدلول
الخاص لكلمة « البدر » فنهملها اجمالاً يكاد يكون كلياً ، ونؤثر
عليها لفظ « القمر » وقل في الشعراء المعاصرين من يرضى استعمال
كلمة « بدر » إلا في الحالات النادرة ، وأنا أعترف ، انني أكلف نفسي
أحياناً متاعب كثيرة ، لكي لا استعملها ، والتعليل السايكولوجي
لهذا يسير ، فأنا وسواي نتذكر بلا شك تلك العشرات من الايات
الصماء النافرة التي تركها شعراء العصر المنطقي الماضي ، واستعملوا
فيها كلمة « بدر » حتى جردوها من جمال معناها ، واطفأوها ،
وابقوا منها ظلالهم هم عليها .

ربما كان هذا كله من عمل ما يسميه علماء النفس الاقتران

Association وربما كان له عندهم تعليل آخر ، سوى ان هذا كله يتعلق بالسبب لا بواقع الأمر ، فاللهم ان الألفاظ تصدأ وتحول ، ونحتاج إلى استبدال بين حين وحين . وقد رأينا ان هذا الاستبدال وظيفته الأديب يقوم بها وهو « نصف واع » لان الوعي التام قلما يفتج شيئاً ذا قيمة .

لنعد إلى حديث الأوزان .

في هذا الديوان لون بسيط من « الخروج » على القواعد المألوفة ، يلاحظ ، في قصائد مثل « جامعة الظلال » و « لنكن أصدقاء » و « مرثية يوم تافه » و « اغنية الهاوية » وسواها . وقد يحسن بي أن أؤكد للقارىء اني لا أعد نفسي واحدة من المرهفين الذين تحدث عنهم في الصفحات السابقة ، سوى اني أحسست ان هذا الاسلوب الجديد في ترتيب تقاعيل الخليل يطلق جناح الشاعر من ألف قيد . وسأحاول فيما يلي ان أبسط خاصية هذا الاسلوب ، ووجه أفضليته على اسلوب الخليل . الايات التالية تنتمي إلى البحر الذي سماه الخليل « المتقارب » وهو يرتكز إلى

تفعيلة واحدة هي « فعولن » :

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم

يداك لجمع الظلال

وتشييد يوتوبيا في الرمال

أتراني لو كنت استعملت أسلوب الخليل ، كنت استطيع
التعبير عن المعنى بهذا الایجاز وهذه السهولة ؟ الف لا . فانا إذ ذاك
مضطرة إلى ان اتم بيتاً له شطران ، فاتكاف معاني اخرى غير هذه ،
أملأ بها المكان ، وربما جاء البيت الأول بعد ذلك كما يلي :

يداك للمس النجوم الوضاء ونسج الغائم ملء السماء

وهي صورة جنى عليها نظام الشطرين جنابة كبيرة . ألم نلصق لفظ
«الوضاء» بالنجوم دونما حاجة يقتضيها المعنى إتماماً للشطر بتفعيلاته
الاربع ؟ ألم تقلب اللفظة الحساسة « الغيوم » إلى مرادفتها الثقيلة
« الغائم » وهي على كل حال لا تؤدي معناها بدقة ؟ ثم هنالك هذه
العبارة الطائشة « ملء السماء » التي رقعنا بها المعنى ، وقد أردنا له
الوقوف فخلقنا له عكازات ؟ !

هذا كله إذا نحن اخترنا الوزن « المتقارب » ، أما إذا اخترنا
« الطويل » مثلاً ، فالبلية أعمق وأمرّ . إذ ذاك تطول المكازات .
وتتسع الرقم ، وينكش المعنى انكماشاً مهيناً ، فنقول مثلاً :

يداك للمس النجم أو نسج غيمة

يسيرها الأعصار في كل مَشرق

ليلاحظ القارئ، بلادة التعبير ، وتقلص المعنى . وابن هذا من
تعبيرنا الأول :

يداك للمس النجوم

ونسج الغيوم

وينبغي ألا تنسى أن هذا الأسلوب الجديد ، ليس
« خروجاً » على طريقة الخليل ، وإنما هو تعديل لها ، يتطلبه تطور
المعاني والأساليب خلال العصور التي تفصلنا عن الخليل . فالخليل قد
جعل وزن البحر « الكامل » كما يلي :

متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن متفاعِلن

كفّاي ترعشان أين سكّيتي ؟ شفتاي تصطخبان أين هدوتني ؟

مرتكزاً إلى « متفاعِلن » التي اعتاد العرب أن يضعوا ثلاثاً

منها في كل شطر . وكل ما سنصنع نحن الآن ، ان نتلاعب بعدد
التفاعيل وترتيبها فتجيب القصيدة من هذا البحر أحيانا كقصيدة
« جدران وظلال » وهذا مقطع منها :

وهناك في الأعماق شيء جامد

حجرت بلادته المساء عن النهار

شيء رهيب بارد

خلف الستار

يدعي جدار

أواه لو هدم الجدار

ولو قطعناه لجاءت تفعيلاته كما يلي :

متفاعلن متفاعلن متفاعل

متفاعلن متفاعلن متفاعلات

متفاعلن متفاعل

متفاعلات

متفاعلات

متفاعلن متفاعلات

ومزية هذه الطريقة انها تحرر الشاعر من عبودية الشطرين ،
خالبت ذو التفاعيل الست الثابتة ، يضطر الشاعر الى ان يختم الكلام
عند التفعيلة السادسة ، وان كان المعنى الذي يريد قد انتهى عند
التفعيلة الرابعة ، بينما يمكنه الاسلوب الجديد من الوقوف حيث
يشاء .



ثم نتحدث عن القافية ، ذلك الحجر الذي تلقمه الطريقة القديمة
كل بيت . قالوا ان العربية لغة واسعة غنية ، وان ذلك يبرر كونها
اللغة الوحيدة التي اتخذت القافية الموحدة سنة في قصائدها ، ونسوا
ان أية لغة مهما اتسعت وغنيت ، لا تستطيع ان تمد «ملحمة» بقافية
موحدة ، أياً كانت ، ولم ينتبهوا إلى ان ذلك كان واحداً من
الاسباب التي حالت دون وجود الملحمة في الادب العربي ، مع انها
وجدت في آداب الأمم المجاورة ، كالفرس واليونان .
وليس هذا مكان الحديث عن الخسائر الفادحة التي انزلتها
القافية الموحدة بالشعر العربي طيلة العصور الماضية ، وإنما المهم ان
نلاحظ ان هذه القافية تضفي على القصيدة لوناً رتيباً يمل السامع فضلاً

عما يشير في نفسه من شعور بتكلف الشاعر وتصيده للقافية . ومن
المؤكد ان القافية الموحدة قد خنقت احساس كثير ، ووأدت
معاني لا حصر لها في صدور شعراء اخلصوا لها . ذلك لان الشعر
الكامل « الغنائي منه خاصة » ، والشعر العربي غنائي كله تقريباً ، لا
يستطيع ان يكون إلا وليد الفورة الأولى من الاحساس في صدر
الشاعر ، وهذه الفورة قابلة للخمود لدى اول عائق يعترض سبيل
اندفاعها ، فهي اشبه بحلم سرعان ما يفيق منه النائم ، والقافية الموحدة
قد كانت دائماً هي « العائق » ، فما يكاد الشاعر يفعل ، وتعتبره
الحالة الشعرية ، ويمسك بالقلم فيكتب بضعة ابيات ، حتى يبدأ محصولة
من القوافي يتقلص ، فيروح يوزع ذهنه بين التعبير عن انفعاله ،
والتفكير في القافية ، وسرعان ما تفيض الحالة الشعرية وتهمد فوريتها
ويعضي الشاعر بصف الكلمات ويرص القوافي دونما حس . ولذلك ،
قلما نجد في ادبنا القديم قصائد موحدة الفكرة ، يسيطر عليها جو
تعبيري واحد منذ مطلعها الى ختامها . فالشاعر يضطر الى مصانعة
القافية ، وانا اعرف شعراء يختارون القافية ، ثم يكتبون البيت وفقاً
لها ، وهذا أبرز دليل على مدى طغيان هذه الالهة المغرورة .

إلا أن من حسن الحظ ، ان شعراءنا المعاصرين قد استخفوا
 بسلطان القافية ، وخرجوا عليه فاستعملوا نظام الرباعية واشباهها ،
 ويكاد هذا يصبح الآن امراً مقبولاً ، لا يبق على قوافي هذا
 الديوان اعتراضاً ، إلا انني اعترف مع ذلك بانني اخضعت القافية
 أحياناً ، لأكثر مما فعل سواي ، فنظمتها في قصيدة «مسامير»
 هكذا : «أب أ ، ب ج ب ، ج د ج ، د ه د ، ه و ه .. الخ .»^(١)
 وفي «رماد» التي استعملت فيها نظام الرباعية كما يلي : «أب ب أ»
 وفي «غرباء» التي استعملت فيها نظام «المقطوعة Stanza»
 وكانت القافية في كل مقطوعة تجري هكذا «أأ ب ب أب» .
 أما قصيدة «الكوليرا» فقد كانت المقطوعة فيها أطول مما «ينبغي»
 قليلاً وقد جرت على هذا النسق «أب ب ج ج ب د د ب ه ه ه»
 على انني حررت القافية تحريراً تاماً في قصائد مثل «مرّ القطار»
 و «نهاية السلم» و «خرافات» و «جدران وظلال» وسواها ،
 فتركتها تتكرر كما يشاء السياق دون تهيد بنظام معين ، ولعل هذه
 هي الخطوة الوحيدة التي تسبق الشعر المرسل Blank Verse . وان

(١) تكرار الحرف يعني تكرار القافية

كان لابد من اشارة الى قصيدة « الجرح الغاضب » فلا قرر ان
الاسلوب الطريف في تنقيتها مقتبس مباشرة عن الشاعر الاميركي
« ادغار آلان بو » في قصيدته البديعة « Ulalume » .



قلت ان اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الايحاء ، لان كتابها
نوشعراءها لم يعتادوا استغلال القوى الكامنة وراء الألفاظ استغلالاً
تاماً ، إلا حديثاً ، فقد بقيت الألفاظ طيلة قرون الفترة الراكدة
« المظلمة .. » تستعمل بمعانيها الشائعة وحدها . وربما كان ذلك هو السبب
في جنوح الجمهور العربي جنوباً شديداً الى استنكار المدارس الشعرية
التي تعتمد على القوة الایحائية للألفاظ ، كالرمزية ، والسريالية ، على
اعتبار ان هذه المدارس تحمل اللغة اثقالاً من الرموز والاحلام
الباطنية والخلجات الغامضة ، واتجاهات اللاشعور ، ومثل ذلك مما
لا تنهض به إلا لغة بلغت قمة نضجها .

والواقع ان القارئ العربي يتهرب من الشعر الرمزي ، لان
اللغة تجابه التعبير عن مثل هذه الاحاسيس المبهمة أول مرة ، فليس
غريباً ان تتلحظ قليلاً ، وتتوتر . اما تحليل الأمر بان ذاتية العربي

تنفر بطبعها من الرموز ولا تجد جمالا في الدهاليز التي تتلوى وراء
الحس، والعوالم الخفية التي يعسر ادراكها، فأمره لا اعتقد به أنا على
الأقل ..

ذلك لأن النفس البشرية عموماً ، ليست واضحة ، وإنما هي مغلفة
بألف ستر . وقد يحدث كثيراً أن تعبر الذات عن نفسها بأساليب
غامضة ملتوية، تثيرها آلاف الذكريات المنطمسة الرأ كدة في اعماق
العقل الباطن منذ سنوات وسنوات ، ومثات الصور العابرة التي تمر
فيحدق فيها العقل الواعي بمرود وينساها نسياناً كلياً فيتلقفها العقل
الباطن ويكنزها مع ملايين الصور النافية ، ويفلق عليها الباب ، حتى
إذا آنس غفلة من العقل الواعي ، اطلقها صوراً غامضة لا لون لها
ولا شكل .

وليست مثل هذه الاحاسيس الغريبة وفقاً على انسان دون
انسان ، سوى ان التعبير عنها يختلف . فالانسان العادي يراها في
احلامه . اما الفنان فيعبر عنها بفنه واحلامه معاً . وما دمنا لانستغرب
حين نستيقظ احياناً في اعماق الليل وقد حلمنا اننا نركض خفاة ،
في قبو قديم ، كان جزء من دار خربة كنا نسكنها منذ ثماني عشرة

سنة كاملة ، لم نعد اليها خلالها مطلقاً ، ومع ذلك لاحظنا في الحلم ادق الاشياء المنظمة التافهة التي شاهدناها في السنين الغابرة : ذلك المسار القديم المعوج على الجدار ، وقد تدلى منه الحبل الباهت القديم نفسه . ثم هناك ، على ارتفاع امتار ، انبوب المياه الذي كنا في طفولتنا نتسلقه احياناً . اقول : ما دمنا لا نستغرب ذلك في حلم فلماذا لا نتقبله حين يصفه شاعر في قصيدة ؟ ان الشاعر الذاتي الذي يراقب نفسه ، كما لو كان يراقب بجرأ زائراً لا شيطان له ولا قرار ، لا يستطيع ان يهرب من مثل هذه الصور الباهتة الممحوّة ، فهي تلاحقه ابدأ ، ولا بد له من وصفها في شعره . والابهام جزء اساسي من حياة النفس البشرية ، لا مفرّ لنا من مواجهته ان نحن اردنا فنا يصف النفس ، ويلس حياتها لمسا دقيقاً . ومع ذلك فالابهام ليس مقصوداً لذاته ، وانما هو صورة من صور الحياة ، ولذلك يندر ان نجد شاعراً ، كل شعره معقّد ملتو . اما الذين يعتمدون تعقيد شعرهم ، فقد يكون الدُسُّ هكسلي التمس لهم بعض العذر حين قال ان المعاصرين يهربون الى الابهام خوفاً من الوضوح الذي هو الصفة الاساسية في الادب الشعبي .

وليس قصدي من هذا التعليل للتعبير الرمزي والسريالي ،
أن أقول ان طائفة من قصائد هذه المجموعة تنتمي الى هذه المدرسة
او تلك . وإنما اود أن أمهد لطائفة من القصائد التي عالجت فيها
حالات تتعلق بالذات الباطنية أحياناً ، وباللاشعور أحياناً ، وهي
حالات لم يقف عندها الشعر العربي إلا نادراً ، فهو قد وقف
نفسه على معالجة السلوك الخارجي للانسان .

ففي قصيدة « الخيط المشدود في شجرة السرو » ، حاولت
رسم صورة شعرية للانفعالات والخواطر التي اعترت شاباً فوجي .
بنياً موت حبيته . وسيلاحظ ان القصة العاطفية في هذه القصيدة
ثانوية الأهمية بالنسبة للخيط المشدود في الشجرة وما كان له من صلة
وثيقة بشرود الشاب المصدوم ، وحالة الهذيان الداخلي التي اعترته .
فعقدة القصيدة تعتمد على الحالة التي تعترى انساناً يتاقى نبأ مثيراً
فاجعاً ، لا يتوقعه . فهو إذ ذاك يصاب بشرود كبير عميق ، ويبدو
انه لم يسمع النبأ . ويتلفت حوله فتعلق عيناه بأول شيء تافه
تصادفانه ، فيغرق في التفكير فيه . وقد كان الشيء التافه في هذه القصيدة
هو الخيط . كان مشدوداً في شجرة سرو تقوم عند الباب ، فانشغل

العقل المصدوم بالتفكير فيه ، وبقي منشغلاً حتى عاد اليه وعيه وادرك
خداحة المأساة التي نزلت به .

ولن يعثر القاريء علي شيء مثير في قصيدة « مرّ القطار » ان
هو توقع أن يجد فيها وصفاً للقطار أو لرحلة في القطار . فقد كان غرضي
الاسامي من كتابتها ان اعبر عن الشعور الغامض الذي يحسه المسافر
ليلاً بالدرجة الثالثة من القطار . فهناك حالة التعب الكلي التي يجد فيها
المرء نفسه ، مشوبة بلون من الكسل والارتخاء . وهناك صوت عجلات
القطار الرتيب الذي لا يتغير ، ولون الغبار المتراكم على كل شيء .
على الحقائق ، وعلى الوجوه والثياب . ثم هناك منظر المسافرين الغرباء
وقد جمعتهم عربة القطار صفوفاً . والقطار يصفر بين حين وحين
غشير احساساً غريباً في النفس . كل ذلك والسكوت يغمر العربة ،
التي نام اغلبية الموجودين فيها وهم جالسون على مقاعدهم . وبين فترة
واخرى ، يصدف ان يتشابه مسافر غريب لا نعرفه ويهتف بملل
وبرود « كم الساعة الآن ؟ » او « متى نصل ؟ » او « اين نحن ؟ »
أو مثل ذلك من العبارات . فاذا أحسّ قاريء « مرّ القطار »
ببعض هذا الجو كان ذلك حسبي .

اما قصيدة « الافعوان » فقد عبرت فيها عن الاحساس الخفي
الذي يعترينا احيانا بان قوة مجهولة جبارة ، تطاردنا مطاردة تقسية
ملحّة . وكثيراً ما تكون هذه القوة ، مجموعة من الذكريات المحزنة ،
او هي الندم ، او عادة نمتها في سلوكنا الخارجي ، او صورة مخيفة
قابلتنا فلم نعد نستطيع نسيانها ، او هي النفس بما لها من رغبات
وما فيها من ضعف وشرود ، او أي شيء آخر ... فالامر متوقف
على ذاتية القارئ ، وليس بعينه أن أهين « افعواني » انا ، فذلك
أمر ثانوي ، وإنما المهم ، ان هذا الافعوان يطاردنا باستمرار وسدى
نتهرب منه ، حتى إذا لدنا باللابيرنث Labyrinth وهو تيه
معقد المسالك يدخله المرء فلا يملك مغادرته لالتواء طرقه وكثرة
ابوابه ، حتى إذا استعملنا طريقة الايجاء الذاتي كما صنعت أنا في
القصيدة :

انه لن يجيء

لن يجيء وان عبر المستحيل

ابدأ لن يجيء

فالنتيجة الحتمية ، انه يجيء . أخيراً ، وسرعان ما نبرخ « انه جاء »

وفي قصيدة « خرافات » يجد القارئ لونا من الشعور أحسه ،
ويحسه كثيرون ، كلما ساد السكون مكانا . فاذاك نسمع بأذن
الروح ألف قصة تقصها الاشياء الرا كدة حولنا . فالسياج يتكلم
وبعيد ما كانت عنده من ذكريات انطمست وباتت ، و « قصائص
الورق الممزق في الخرائب » تحكي اقاصيص مثيرة عن حوادث
بعيدة منسية . و « القبار » يقص قصة النسيان الذي تدره
العصور على كل شيء ، و « مقاعد الغرف القديمة » تحدث عن جيل
من الناس مرّ بها يوما ثم انتقل الى افق بعيد مجهول ، وهكذا ...
حتى يكاد الانسان الحساس لا يرى شيئا إلا ويحسه يفهم ويهمس
ويطارده بالكلام .



والذي اعتقده ان الشعر العربي ، يقف اليوم على حافة تطور
جارف عاصف لن يبق من الاساليب القديمة شيئا ، فالأوزان
والقوافي والاساليب والمذاهب ستزعزع قواعدها جميعا ، والألفاظ
ستتسع حتى تشمل آفاقاً جديدة واسعة من قوة التعبير ، والتجارب
الشعرية « الموضوعات » ستتجه اتجاها سريعا الى داخل النفس ، بعد

ان بقيت تحوم حولها من بعيد . اقول هذا اعتماداً على دراسة بطيئة
لشعرنا المعاصر واتجاهاته . واقوله لانه النتيجة المنطقية لاقبالنا على
قراءة الآداب الاوربية ودراسة احداث النظريات في الفلسفة والفن
وعلم النفس . والواقع ان الذين يريدون الجمع بين الثقافة الحديثة
وتقاليد الشعر القديمة ، اشبه بمن يعيش اليوم بالابس القرن الاول
لهجرة ، ونحن بين اثنين : اما ان نتعلم النظريات وتأثر بها ونطبقها ،
أو ألا نتعلمها إطلاقاً .

وقد يفيدنا ان نتذكر دائماً ان التطور الذي يحدث في الفنون
والآداب في عصر ما ، اكثر ما يكون ناشئاً عن التقاء أمتين أو
اكثر . فقد يحدث ان امة معينة ، تحمد قابلياتها وتركذ قروناً
كاملة بتأثير عوامل خاصة . ثم يأتي عليها زمن متوثب يوقظها
فتتململ وتتحرك ، وترنو الى ما حولها ، وتبدأ باستيعاب ما فاتها
من ثقافات ، فتستفيد من تجارب امة مجاورة بقيت نشيطة فاضافت
الى الفكر الانساني فصولاً لامعة . فما يمضي نصف قرن حتى تنتهي
الامة التي كانت راكدة من مرحلة الاستيعاب ، وتبدأ حيث وقفت
الامة المجاورة . تبدأ بالاضافة . وهذا هو الاسلوب الذي يتبعه خط

التطور في تاريخ الأمم ، بحيث لا نستطيع ان نعثر على مذهب ، او
اختراع ، او نظرية ، توصلت اليها أمة بعينها ، دون ان تستفيد من
تجارب الأمم الأخرى .



آخر ما اود ان اقله في هذه المقدمة ، اتى أومن بمستقبل
الشعر العربي ايمانا حاراً عميقاً . أومن انه مندفع بكل ما في صدور
شعرائه من قوى ومواهب وإمكانيات ، ليقبوا مكاناً رفيعاً في أدب
العالم .

والف تحية لشعراء القدامى

نازك الملوكة

٣ - ٢ - ١٩٤٩

كبرياء

لا تساني عن سرّ أدمعي الحرّي فبعض الأسرار يأتي الوضوح
بعضها يؤثر الحياة وراء الحسّ لغزاً وإن يكن مجروحاً

بعضها أن كشفته يستحل حُباً مُهاناً بموت موتاً حزينا
بعضها تكبر أن يكشف عما وراءه أو يدبنا

ومئات الأسرار تكمن في دمة حزن تلوح في مقلة
ومئات الألغاز في سكتة تهتز خلف انطباق الشفتين

وعيون وراء أهدابها أشباح يأس في حيرة وانكسار
تؤثر الظل والظلام ارتياعاً من ضياء يبوح بالأسرار

هـو قلوب تَضُمُّ اشلاءها فوق جراحٍ وأدمعٍ وذهولٍ
تؤثر الموت كبرياءً ولا تنطق بالسرِّ .. بالرجاء الخجولِ

وشفاء تموت ظمأى ولا تسأل أين الرحيق ؟ أين الكأسُ ؟
وتنفوس تحس أعمق إحساسٍ وتبدو كأنها لا تحسُّ ؟

واكفَّ تودَّ لو مَرَّقتَ ، لو قتلْتَ ، لو تَمَرَّدت في جنونٍ
لو رأتها الحياة قالت : هدوءٌ وادعٌ في براءةٍ وسكونٍ

لو رأتها ، ماذا ترى ؟ كل شيء مفرق خلف داكئات الستورِ
ألف متر ، وألف ظلٍّ من الكبت عميق ، وألف قيد ونير !

لا تساني ، لا تجرح السر في نفسي ، ولا تمحُ كبرياء سكوني
لو تكلمتُ ، كنت في كل لفظ قبر حاتمٍ وجرح مميتٍ

لو تكلمتُ ، كيف ترتعش الاشعار حزناً وترنمي في عياء
لو كشفت السرّ العميق فماذا يتبقى مني سوى الاشلاء ؟

لو تكلمتُ ، رعشة في حياتي وكياني تلحّ أن أتكلم
وسكوتي العميق يكتم أنفاسي وقلبي يكاد أن يتحطم

لو تكلمتُ ، لو سكتُ ، نداءان عميقان كالحياة استمارا
تتلاقى عليهما كل أسرارني فأبقى شمراً وحباً ونارا

وتظال الحياة تخلق من وجهي قناعاً صليداً يفيض رياء
جامداً ، بارداً ، أصمّاً ، ويخفي بعض شيء سميتُهُ كبرياء

يوتويا الضائفة

صديّ ضائم كسرابٍ بعيد
أنام على رجعه الأبدى
صديّ لم يشابه قطّ صديّ
إذا سمعته حيائي ارتمت
يموت على رجعه كل جرح
ويضي شعوري في نشوة
يجاذب روعي صباح مساء
ويوقظني برقيق الغناء
تغنيه قيثارة في الخفاء
حينئذٍ ونادته ألف نداء
بقلي ويشرق كل رجاء
يخندره حأم يوتويا

ويوتويا حأم في دمي
تخائنه بلدًا من غير
هناك عبر فضاء بعيد
يموت الضياء ولا يتحقق
هناك حيث تذوب القيود
وحيث تنام عيون الحياة
أموت وأحيا على ذكره
على أفق حرت في سره
تذوب الكواكب في سحره
ما لونه ما شذى زهره
وينطلق الفكر من أسره
هناك تمتد يوتويا

ويوتويا حيث يبقى الضياء ولا تغرب الشمس أو تغلس
وحيث يظل عبير البنفسج حياً ولا يذبل الارجس
وحيث تفيض الحياة رحيقاً نيراً ولا تفرغ الأكؤس
وحيث تضع حدود الزمان وحيث الكواكب لا تنمس
هناك الحياة امتداد الشباب تهور بنشوته الانفس
هناك يظل الربيع ربيعاً يظلال سكان يوتويا

هناك حيث وعت شهرزاد اقاصيص غنت بها ألف ليلة
وحيث ديانا تسوق الضياء ونارسيس يعبد في الشمس ظله
هناك يوتويا في الضباب على شفق لم تر العين مثله
يحفّ بها أبد من عطور ويمنحها ألف لحن وقبه
وترقد في سكرة لا تحدّ على رجم أغنية مضمحله
على شاطئ كضياء النجوم أسميه شاطئ يوتويا

هناك طوّفتُ ذات مساء
أحس خطاه على الرمل لاسكن
وكنت أحس بجسمي حياة
وكان أُمّامي ممرّ غريب
ويتمدد عن جانبيه خليج
وفي حلمي صحت أين أسير؟
وكان معي هيكل كالسراب
أرى غير شيء وبعض سحاب
تطير بروحي فوق التراب
تغلفه دَفَقَات الضباب
وبعض جزائر بعض هضاب
فردّ صدى : قرب يوتوبيا !

وأحسست في قعر روعي جنوناً
يريد انتهاء الطريق الغريب
إلى ذلك الأفق الأزليّ
أسير أسير ولا شيء يبدو
على ظنّها لوجود عجيب
على ظناً صـارخ وأخيراً
وشوقاً عميقاً كبحر عميق
إلى البلد المتّمنّى السحيق
وحيث يعيش أبولو الرقيق
أُمّاميّ غير امتداد الطريق
يذوب عليه الندى والبريق
صحوت ولم أرَ يوتوبيا

وفي حُلُم آخرٍ كنت أمشي
غريب غريب بلون الأثير
تُناهي بأقدامي المتعبات
تساقها أمل مضمحل
وقفت على قدميها أنوح
وساءلت ماذا ترى خلفها ؟

على شاطئ من حصي ورمال
يحف به أفق كالكبـال
إلى صخرة رسخت كالحال
فقد تترحاق حتى الظلال
على حُلُم بأس ان يُنال
فقال لي الرمل : يوتوبيا !

وفي حُلُم ثالث خلت نفسي
أحـدق في نشوة لا تُعد
أحقاً أرى الباب ؟ الواحه
تقدمت واجفة في خشوع
أدق على الباب في نشوة
فصحت بصوت جيس : دعوني

عنى بابها المرمى الكبير
أكاد أجن .. أكاد أطيـر !
تلوح مبطنة بالحرير
وفي مقاتي ومض حلم قرير
ولا رد غير السكون المرير
أموت على باب يوتوبيا

ومرّت حياتي مرّت سدى ولا شيء يطفى نار الحنين
سدى قد عبرت صحارى الوجود سدى قد جررت قيود السنين
وما زلت أذرع صمت القفار واسأل عن سرها العابرين
يطول على قلبي الانتظار وأغرق في بحر يأس حزين
أحاول أن أتمزى بشيء بغاب .. بواد .. بظلة تين
سدائق ... ثم اخيب وأهتف: لا شيء يشبه يوتوبيا

سأبقى تجاذبي الامنيات الى الأفق السرمدي البعيد
وأحلم أحلم لا أستفيق الا لأحلم حلماً جديداً
أقبل جدرانها في الخيال واسأل عنها الفضاء المديد
واسأل عنها انسكاب المطور وقطر الندى وركام الجليد
واسأل حتى يموت السؤال على شفتي ويخبو الذئيد
وحين أموت .. أموت وقلبي على موعد مع يوتوبيا

نوارنج قديمه وجميده

لنسرّ كان أمس ومات
مسحت ذكره السنوات
منذ بضع مئات السنين
وطوته مع الميتين.

وبحثنا زماناً طويلاً
واستمرنا يد المستحيل
عن كواكبه الآفلات
لنعيد إليه الحياة.

وأهينا بركب المصور
علنا نستعيد الشعور
أن يعود على بدء
فرجنا بلا شيء.

كم شققنا هناك الظلام
ونبشنا ركام المعظام
وعبرنا سكون الركود
لم نجد شيئاً المفقود.

ورأينا هناك جباه
وعيوناً طوتها الحياه

لا ترى فهي عمياء
صبت فهي خرساء

ورأينا رفات قلوب
وسدى حاولت أن تؤوب

حنطتها يد الذكريات
معنا فهي .. فهي رفات !!

ورأينا شفاهاً خوت
وأكفاً ذوت وانطوت

لم تعد تشتكي أو تجوع
لم يعد لأساها دموع

وسألنا عن الأمس
وهناك على الرمس

فعثرنا على تابوت
يجثم الزمن المبهوت

ورجعنا إلى التقويم
فسمعنا صراخ المهشم

علنا نخدع الأيام
خلف سخرية الأرقام

ساحباً نصفه المشلول

نصفه الجامد الملول

واختتمنا الذئيد القديم

فوق جرح الزمان الاليم

في مدار الزمان العميق

فورة الحلم المستفيق

١٩٤٨

ورأينا الغد المنتظر

ساحباً نصفه المحترق

وهناك انطوى سفر

وفداً يثبت العمر

وبتية صدى الأمس

ونحس على الكأس

صراع

أحبُّ .. أحبُّ .. فقلبي جنون
أحب فروحيَّ حسَّ قريب
وسورة حب عميق المدى
حياتيَّ في العالم الشعاري
يضيع لديه جهودي سدى
وجسبيَّ قلب خفوق خفوق
لهيب من الحب ان يخذلنا
سيلبث ماتمبلاً موقدا

واكره اكره قلبي لهيب
وروشيَّ مستعر الاحتقار
وسورة مدت كبير كبير
حياتيَّ تحسَّ وجيب الحقود
يرى الكون أفقاً وضيعاً حقير
وتفسيَّ في ثورة لا تقر
على عالم مغرق في الشرور
تحقر ما حولها من مصخور

احب واكره .. حي شقاء

احب واكره .. كرهى ألم

فقيم اعيش ؟ سئمت البقاء

وشاق حياتي صمت العدم

*

وابكى.. وابكى .. فدمعي لهيب يحطم روحي وُيذوي النى

تعذبني حيرتي في الوجود واصرخ من ألي : من أنا ؟

منحت عيوناً تحب الدموع وقابلاً يجذب انت يُطعننا

وروحاً تمر فيها يريد فجع الظلام وعاف السنا

وأضحك من كل ما في الوجود وفي ضحكى مرح ساخر

فقلبي سخرية واحتقار يشيرها العالم العائر

أحرق من قمتي في الثرى فيضحكني دوده الناخر

وأضحك ضحكة رب كئيب تمرّد مخلوقه الكافر

وابكي واضحك .. دمي دماء

وابكي واضحك .. ضحكي ندم

فقيم امرّ غ تحت الضياء

فؤاداً سير قد تحت الظلم

*

أريد واجهـل ماذا أريد أريد وعاطفتي لا تريد

أحب السماء ولون النجوم وامقتها كل فجر جديد

أريد وأشعر أنني أحس ويسخر مما أحس الوجود

وارغب في حلم غامض فليس له هيكل أو حدود

وأثر من كل مافي الوجود وأهرب من كل شيء أراه

ففي عمق نفسي صوت غريب يعلم قلبي ازدياء الحياه

ويصرخ بي: لاهربي لاهربي ويتعب احساس روحي صدها

فاهتف يا عالمي : لا أريد ! وتصرخ بي ذكرياتي: النجاه!

أريد وانقر تحت السماء
فارسم كل صراعي نعم
ومن أجل لحي سـُـرَضَى البقاء
وعار الحياة وذل الألم

*

أحب واكره ماذا أحب	واكره ؟ أي شعور عجيب ؟
وابكي واصحك ماذا ترى	يشير بكائي وضحكي الغريب ؟
أريد وانقر أي جنون	حياتي ؟ أي صراع رهيب ؟
لماذا أغني ؟ لماذا أعيش ؟	ومنذا أصرعه ؟ من يجيب ؟

١٩٤٧

عندما انتهت الماضي

أمس في الليل وكانت صور الأسرار شتى
تتصبي حاضري الغافي وكانت الأمس ميتة
خلتني كفتته ذات مساء
وتحصنت بـدعوى كبريائي
سمعت روجي في اغفاءة الظلمة صوتاً
لم يكن حاسماً خرافياً الستور
بعثته رغبة خلف شعوري
كان شيئاً.. كان في صمت الدجى صوتك أنت

ذلك الصوت الذي يعرفه سمعي مليًا
صوت ماضي الذي مات وما خلف شيًا
غير أشتات احتقار باهت
وسبت في قمر قلبي الصامت
غير اشتات ادّكرات لحب كان حيًا
منذ أعوام .. وقد فات ومرّ
منذ أعوام .. وصار الآن ذكرى
لها الماضي ووارها التراب الأبدية

ذلك الصوت الذي مرّ على سمعي أمسِ
كان يوماً رغبة تبهش في أعماق نفسي
كان حلاً ذائباً في عبراتي
كان حياً تائهاً في أمنيّاتي
ثم حطمت على ذكراه قيثاري وكأسي
عندما ضيعته تحت الضباب
وتعثرت بأشياء شبابي
وثناويت على جثة أحلامي وأنسي

ومضى عامان ممطوَّطانَ مرًّا في شعوبـ
كانت عمري خربةً يصبغها لون الغروبـ
تذرع الاشباح في الصمت دجاها
ويعيش اليوم في ظلّ أساها
كلما جالت بين الحيرة في القبو الغريبـ
مدت الذكرى ذراعها إليّ
لونها يخلق من دعيّ دنيا
ويشير الوتر الميت في قلبي الكئيبـ

وانقضى عامان ملعونان من أعوام حبي
مزقت روعي أظفارها روعي وقلبي
لم تدع حتى شراعاً من رجاء
أبداً لم تبق إلا كبريائي
وأبديد أدكارات لها قسوة ذئب
عرفت روعي فيها لون أمسي
أمسي الراسب في اعماق حسي
عرفت فيها صدى الصوت الذي غنم قربي

أنه الأمس اذن عاد ليحي من جديد
لأنه عاد اذن يطرق أبواب شرودي
أسفًا يا شبحي عد للتراب
لم تعد تملك ان تطرق بابي
لم يعد يربطنا الا ركام من حدود
هوة أعمق من ذنبك ا ماذا ؟
قد تبقى لك عندي غير هذا ؟
غير ذكرى عبرت يوماً ومرّت بوجودي

مر القطار

الليل ممتد السكون الى المدى
لا شيء يقطعه سوى صوت بليد
لحامة حيرى و كلب ينبس النجم البعيد
والساعة البهاء تلتهم الغدا
وهناك في بعض الجهات
مر القطار

عجلاته غزات رجاء بت انتظر النهار
من أجله . . . مر القطار
وخبا بعيداً في السكون
خلف التلال النائيات

لم يبق في نفسي سوى رجوع وهون
وانا احدث في النجوم الحالمات

أُتخيلُ العربات والصفَّ الطويل
من ساهرين ومتعبين
أُتخيل الليل الثقيل
في أعين سئمت وجوه الراكبين
في ضوء مصباح القطار الباهتِ
سئمت مراقبة الظلام الصامت
أُتصور الضجر المرير
في أنفُس مآتٍ واتعبها الصغير
هي والحماة في انتظار
هي والحماة تحت اكداس الغبار
تغفو دقائق ثم يوقظها القطار
ويطل بعض الراكبين
مثنائاً ، نسمان ، في كسل يحدق في القفلار
ويعود ينظر في وجوه الآخرين

في أوجه الغرباء يجمعهم قطارٌ
وبكاد يغفون ثم يسمع في شرود
صوتاً يغمنم في برود
« هذي العقارب لا تسير !
كم مرّة من هذا المساء ؟ متى الوصول ؟ »
وتدق ساعته ثلاثاً في ذهول
وهنا يقاطعه الصغير
ويلوح مصباح الخفير
ويلوح ضوء محطة عبر المساء
إذ ذاك يتشد القطار المجهدُ
... وفتي هنالك في انطواء
يأبى الرقاد ولم يزل يتنهّدُ
سهران يرتقب النجوم
في مقلتيه برودة خطّ الوجوم

أطرافها . . في وجهه لون غريب
ألقت عليه حرارة الأحلام آثار احرار
شفتاه في شبه اقترار
عن شبه حلم يفرش الليل الجديب
بمحيف أجنحة خفيات اللحون
عيناه في شبه انطباق
وكأنها تخشى فرار اشمة خلف الجفون
أو أن ترى شيئاً مقيتاً لا يطاق
هذا الفتى الضجر الحزين
عبثاً يحاول أن يرى في الآخرين
شيئاً سوى اللغز القديم
والقصة الكبرى التي ستم الوجود
أبطالها وفصولها ومضى يراقب في برود
تكرارها البالي السقيم

هذا الفتى

وتعمر أقدام الخفير
ويطلّ وجهه عابس خلف الزجاج
وجه الخفير !

ويهرّ في يده السراج
فيرى الوجوه المتعبه
والناثمين وهم جلوس في القطار
والأعين المترقبه

في كل جفن صرخة باسم النهار
وتضيم أقدام الخفير الساهد
خلف الظلام الراكد

مرّ القطار وضاع في قلب القفار
وبقيت وحدي أسأل الليل الشرود

عن شاعري ومتى يعود ؟
ومتى يجيء به القطار ؟
أتراه مرة به الخفير
ورآه لم يعبأ به .. كالأخرين . . . ؟
ومضى يسير
هو والسراج ويفحصان الركاب
وأنا هنا ما زلت أرقب في انتظار
وأودّ لو جاء القطار

عزوى خامدة

ياحبّ لم تبق لنا ذكرى
كان لنا ماضٍ وقد مرّا
لم يطوها الموتُ
وافقه الصمت

نحن هنا وهما لالونا
سرابٌ لاشيئين . لا معنى
لا صوت لاشكلا
لا لفظ لا ظلا

تدفعنا الآهات والاحزان
يا ليتنا نظفر بالنسيان
وما لنا مأوى
أو نمنح السأوى

نبكى فلا تحنو علينا يد
نحن هنا الالأمس واللاغد
بربة من حنان
نحن هنا اللاكيان

أعيننا أفق بلا لون
شفاهنا ألم بلا حن

لا يعكس الأشياء
وروحنا أشلاء

والتقي فتسكت النجوى
وضحك تبدو بلا جدوى

وتسكنم الانقاس
ينقصها الاحساس

وتلتقي الكفان أين الرغاب
أصابع مية الأعصاب

ورعشة الاشواق
ليس لها أعماق

وأعين فارغة الأحداق
الشرق فيها أسود الآفاق

ليس لها قلب
ويلهث الغرب

وأذرع صماء كالأحجار
جامدة لو لامستها النار

فارقها الشوق
لم يستفق عرق

شيء وداء الروح
وليلنا مجروح

ونلتقي ينقصنا شيء
شفاهنا ينكرها الضوء

وأدمع خرس
وبيننا الأمس

ونلتقي تفصلنا آلام
يعزّات تجمعنا الأيام

تقذف بالاشباح
قد غرق الملاح

وبيننا هاوية الذكرى
سدى أريد الضفة الأخرى

١٩٤٨

الجرح الفاضب

أغضبُ أغضبُ أن احتمل الجرح الساخرُ
جرح قد مرّ مساء الأمس على قلبي
جرح يحتم كالكيل المعتم في قلبي
يحتم أسود كالنقمة في فكر نائر
جرح لم يعرف لانساق قلبي مثله
أن يشكو قلب بشري بعدي مثله
الظلمة في أمسي المطوي أحسته
ومضت تهمس في صمت الليل : من الجاني ؟
حتى الأبدية والآفاق أحسته
وتناسى .. لم يعبأ .. لم ينتبه الجاني .

*

أغضب تغضب لي همسات الليل الصامت
وتحيل الجوّ الواجم صرخة جبار
وتقول الأنجم هذي نقمة جبار
ويثور بقلب الأبدية جرح ساكت
أغضب يرتعش الموج ممي تحت القمر
ويضج وتبلغ ثورته سمع القمر
ويجفن الغيم الأسود في عرض الأفق
ويلف الشاطيء ثوب حداد كجنازه
يتحول صمتي ناراً تصرخ في الأفق
واغني رقة إحساسي لحن جنازه

•

أمسي ، في أمسي قد دُفنت أشلاء غدي
كانت ، لم يدر بها أحد ، شبه جريمه
الجرح' النديان سيشهد أي جريمه
كيف على الأرض تساقط حلمي بين يدي
كيف المقدور مضى نزقاً يقتل قلبا ؟
وتبقت بضعة أشلاء كانت قلبا
وتبقت ذكرى مطفأة كانت أمسا
وتبقت أنات حيرى كانت لحنا
جدران عارية كانت يوماً أمسا
أصداء في غارٍ غارٍ كانت لحنا

*

ومن الأعماق تصاعد صوت مخنوق
يهتف في حزن ، في جزع : كيف أبوح ؟
ليت الجرح المظلوم الى الليل يبوح !
قد يثار لي مطر ورعود وبروق
ورأيت على الأفق المخضوب بفيض دمي
شبحاً تقتر على فمه قطرات دمي
عيناه الزرقاوان مساء أهوال
ويدها السوداء ذراعا عفريت
شبح مجنوث أيقظ عاصف أهوال
وأحال دياجيري أحجية عفريت

*

أغضبُ للجرح المحتاج الشاكي أغضبُ
سيجنّ معي الصبر المذبوح المرتعشُ
ستجنّ معي اللعنة والحقد المرتعش
ستثور معي الذكرى ستثورُ ولا مهرب
لا مهربَ من جرح قدميَّ على قلبي
جرح يصرخ كالجوع البائس في قلبي
الظلمة في صمت الآفاق أحسّتهُ
ومضت تسأل في قلب الليل : من الجاني ؟
حتى القمرية والأشجار أحسّتهُ
وتضاحك ، لم يشعر ، لم ينتبه الجاني !

الباحثة عن القمر

« غداً نلتقي » نبأ في الزمان
تلاشى ولم ترويه شفقات
آروته الحياة
تلاشى وتام

وجاء غد ثم ولى ومات
فأين « غداً نلتقي » يا حياة
وعاد ضباباً
أعادت تراباً ؟

« غداً نلتقي » ثم مات الزمان
وهل يلتقي أبداً عاشقات
وضاع المكان
على لا كيان

وكان لنا موعد فانطوي
وكم كوكب في الدياجي هوى
صدام ومات
وعاد رفات

وكانت لنا قصة كالـبشر
فأسفر آخرها عن قدر

نسيج السنين
وذاب الرنين

وكنا نمرّ قترانو الحياة
وها نحن تختصم الذكريات

وتومي اليـنا
على شفتينا

ويطردنا الأمس من كل ما
سوى حاضرٍ مفرقٍ في الدما

ملكناه يوماً
ويقطر سماءنا

ونسبح بمضاً وراء المساء
صدى لفظتين بحوس الفضاء

من المشرقِ
« غداً نلتقي »

ويأتي غد في أسمى وشروذ
بألف صدى ساخرٍ في برود

بصمتٍ طويلٍ
وراء النخيل

«غداً نلتقي» ويسود السكون
واسمع تحت المساء الحنوت

سكون الخريف
صراخاً عنيف

وقهقهة ، فظة ، بارده
ترددتها شفة حاقده

كجوى القبور
وراء العصور

« غداً نلتقي » وتمطُّ النغم
ويبقى غدي تائهاً في الظلم

وتسفسر مني
يفتش عني

١٩٤٨

الأقموال

أين أمشي ؟ ملأت الدروب
وسمت المروج
والمدو الخفي اللجوج
لم يزل يقتفي خطواتي ، فأين المروب ؟
المرآت والطرق الذاهبات
بالأغاني الى كل أفق غريب
ودروب الحياة
والدهاليز في ظلمات الدجى الحالكات
وزوايا النهار الجديب
جبتها كلها ، وعدوي الخفي العنيد
صامد كجبال الجليد
في الشمال البعيد

صامد كصمود النجوم
في عيون جفائها الرقاد
ورمتها اكف المهوم
بجراح السهاد
صامد كصمود الزمن
ساعة الانتظار
كلما أمعنت في الفرار
خطواتي تخطى القنن
وأتاني بما حطمته جهود النهار
من قيود التذكر . . . لن أنشد الانتقالات
من قيودي . وأي انتقالات
وعدوتي الخيف
مقلته تلمج الخريف
فوق روح تريد الربيع

ووراء الضباب الشفيف
ذلك الأفموان الفطيع
ذلك الغول اي انعتاق
من ظلال يديه على جبهتي الباردة
أين أنجو وأهدابه الحاقده
في طريقي تصب غداً ميّتاً لا يطاق ؟

*

أين امشي ؟ وأي انحناء
يفلق الباب دون عدوّي المريب
إنه يتعدّى الرجاء
ويقهره سخرية من وجومي الرهيب
إنه لا يحسّ البكاء
أين .. أين أغيب ؟
هربي المستمر الرتيب

لم يعد يستجيب
لنداء ارتياحي وفيهم صراخ النداء ؟
هل هناك ملاذ قريب .
أو بعيد .. سأمضي وان كان خلف السماء
أو وراء حدود الرجاء
ثم ذات مساء
أسمع الصوت :
« سيري فهذا طريق عميق »
يتخطى حدود المكان
لن تعي فيه صوتاً لغفظة الأفقوان
إنه « لا يرئث » سحيق
ربما شيدته يد في قديم الزمان
لأمير غريب الطباع
ثم مات الأمير .. وابقى الطريق

لأَكْفَ الضياع
أسمع الصوت ملء البقاع
فأسير لعل أفيق
من دياجير كابوسي الأبدى الصفيق
ربما سيفضل عدوي الطريق
ما أحبّ المسير وليس ورائي خطى مائه
تتمطى بأمدائها الباهتة
في محاني طريقي الطويل
لأنه لن يجيء
لن يجيء وإن عبر المستحيل
أبدأ لن يجيء
لن يراه فؤادي البريء
من جديد يثير الرياح
لتسدّ عليّ السبيل

في هدوء الصباح

أبدأ لن يجيء

لن يجيء ...

وأسمع قهقهة حاقده

لأنه جاء يا لضياع رجائي الكبير

في دجى اللا برئت الضير

وأحسُّ اليد المارده

تضغط البرد والرعب فوق هدوئي الغرير

بأصابعها الجامده

لأنه جاء .. فم المسير ؟

سأودع حلمي القصير

وأعود بمحنته الباردة .

*

وتمرّ تمرّ الحياة

وعدوي الخفي العنيد
خلف كل طريق جديد
في ليالي الأسي الحاسكات
خلف كل سحر
وأراه يطل عليّ مع المنتظر
مع أمسي البعيد
مع ضوء القمر
في الفضاء المديد
أين أين المفر
من عدوي العنيد
وهو مثل القدر
سرمديّ ، خفيّ ، أييد
سرمديّ ، أييد .

فراقات

« هدية الى صديقى د.أ. نجمة
لذكرى مساء فلسفنا فيه كل شئ
منى الكراسى والمناضرو الستائر »

تألوا الحياة

هي لون بيني ميت
هي وقع خطو القاتل المتلفت
أيامها المتجمعات
كالمطف المسموم ينضح بأنبات
أحلامها سمات سملاة مخدرة العيون
ووراء بسمتها المنون

قالوا الأمل

هو حسرة الظمآن حين يرى الكؤوس
في صورة فوق الجدار
هو ذلك اللون العبوس
في وجه عصفور تحطم عشه فيكي وطار
وأقام ينتظر الصباح لعل ممجزة تميد
أنقاض مأواه المخرب من جديد .

قالوا النعيم

وبحث عنه في العيون الفائرات
في قصة البؤس التي كتبت على بعض الوجوه
في الدهر تأكله سنوه
في الزهر يرصد عطره شبح الذبول
في نجمة حسناء يرصدها الأفول
قالوا النعيم ولم أجده فهل طوى غده ومات ؟

قالوا السكون

أسطورة حمقاء جاء بها جماد
يصغي بأذنيه ويترك روحه تحت الرماد
لم يسمع الصرخات يرسلها السياج ،
وقصائص الورق الممزق في الخرائب ، والغبار ،
ومقاعد الغرف القديمة ، والزجاج ،
غطاء نسيج العنكبوت ، ومطف فوق الجدار .

قالوا الشباب

وسألت عنه فحدثوني عن سنين
تأتي فينقش الضباب
وتحدثوا عن جنة خلف السراب
وتحدثوا عن واحة للمتميين
وبلغتها فوجدت أحلام الغد
مصلوبة عند الرتاج الموصد

قالوا الخلود

ووجدته ظلاً تغطى في برود
فوق المدافن حيث تنكش الحياة
ووجدته لفظاً على بعض الشفاه
غنته وهي تنوح ماضيها وتنزله اللعود
غنته وهي تموت . . . يا للزدراء !
قالوا الخلود ، ولم أجد الا الفناء .

قالوا القلوب

ووجدت أبواباً تؤدي في اختناق
لمقابر دُفن الشعور بها ومات غدا الخيال
جدرانها اللزجات تبتلع الجمال
وتنمج قبحاً لا يطاق
وهربت شاحبة أتلك إذن قلوب ؟
يا خيبة الأحلام . لاني لن أؤوب

قالوا العيون

ووجدتُ أجفاناً وليس لها بصر
وعرفتُ أهداباً شددن الى خجر
وخبرتُ أقباءً ملقمةً بأستار الظنون
عمياء عن غير الشرور وان تكن تدعى عيون
وعرفتُ آلافاً وأعينهم صفائح من زجاج
زرقاء في لون السماء ، وخلف زرقتها دياج

قالوا وقالوا

ألفاظهم لا كت تردّدُها الرياح
في عالم أصواته الجوفاء يرصدّها القناء
المتعبون بلا ارتياح
الضائعون بلا انتهاء

قالوا وقلت وليس يبقى ما يقال
يا للخرافة ! يا لسخرية الخيال !

مجهود

في سكون المساء في ظلام الوجود
حين نام الضياء واعتراني جمود

خلت نفسي أسير في مكان بعيد
فوق قلبي أثر تحت رجلي قيود

في كياني فتور في دمي نوء
لقبوه الشعور وهو لاشيء

في إسمار الألم روحي المبهم
يامعاني المدم آه لو أفهم

في ضباب الوجود
وغداً سأعود

أنا كالسر
دون أن أدري

جسدي في الألم
بين همس العدم

خاطري في القيود
وصراخ الوجود

وسكوني حياة
النجاة النجاة

وظلامي بريق
من شعوري العميق

أنا حلم
أم أنا جسم

وشعور ظهور
مفروق في الشرور

بل أنا آفاق
وأنا أعماق

من شعور عفيف
من خضم مخيف

ليس تعينني
هي قانوني

المقايس
الاحاسيس

ما يحب الناس
في دمي احساس

أنا لا أهوى
فاذا دوى

سرت خلف الصوت
فجر عمري الموت

سرت لا ألوي
فقداء يطوي

عاصف بالجمود
تتحدى الركود

في دمي اعصار
وشظايا نار

في معاني الخير
أنا أهوى الشر

كل قلبي شك
فكرة تضحك

ان يكُ الجسمُ
فأنا لَمُ... ..

من ترابٍ حقيرٍ
أنا لستُ أثيرُ !

ان يكُ العقلُ
فأنا حلُّ

يمقت الانفجار
منه . . . يا للعار !

ان يكُ الايمانُ
فأنا نكرانُ

هو هذا الجودُ
أنا كلي جحود

١٩٤٧

مرثية يوم نافر

لأحت الظلمة في الأفق السحيق
وانتهى اليوم الغريب
ومضت أصدائه نحو كهوف الذكريات
وفداً تمضي كما كانت حياتي
شفة ظمأى وكوب
عكست أعماقه لون الرحيق
وإذا ما لمست شفتايا
لم تجد من لذة الذكرى بقايا
لم تجد حتى بقايا ١١

انتهى اليوم الغريب
انتهى واتعبت حتى الذنوب

وبكت حتى حماقاني التي سميتها
ذكرياتي
انتهى لم يبق في كفي منه
غير ذكرى نعم يصرخ في أعماق ذاتي
رائياً كفي التي أفرغتها
من حياتي ، وادّكراتي ، ويوم من شبابي
حناع في وادي السراب
في الضباب .

كان يوماً من حياتي
مناثماً ألقيته دون اضطراب
فوق أشلاء شبابي
عند تل الذكريات
فوق آلاف من الساعات تاهت في الضباب

في مناهات الليالي الغابات .

كان يوماً تافهاً . كان غريباً
أن تدق الساعة الكسلى وتحصى لحظاتي
انه لم يك يوماً من حياتي
انه قد كان تحقيقاً رهيباً
لبقايا لعنة الذكرى التي مزقتها
هي والكأس التي حطمتها
عند قبر الامل الميت ، خلف السنوات ،
خلف ذاتي ا

كان يوماً تافهاً ... حتى المساء
مرت الساعات في شبه بكاء
كلها حتى المساء

عندما أيقظ سمعي صوته
صوته الحلو الذي ضيغته
عندما أهدقت الظلمة بالافق الرهيب
وانسحبت حتى بقايا ألمي ، حتى ذنوبي
وامحي صوت حبيبي
حملت أصداؤه كف الغروب
لمسكان غاب عن أعين قلبي
غاب لم تبق سوى الذكرى وحي
ومضى يوم غريب
كشعوبي
عبثاً أضرع أن يرجع لي صوت حبيبي .

١٩٤٨

ألفاز

دعني في صمتي في إحساسي المكبوتِ
لا تسأل عن ألفاز غموضي وسكوتي

دعني في لغزي لا تبعث عن أغواري
أقنع من فهم أحاسيسي بالأسرار

لا تسأل لبي أحياناً لغز مبهم
أبقى في الغيب مع الأسرار ولا أفهم

روحي لا تعشق أنت تحيا مثل الناس
أنا أحياناً أندي بشرة إحساسي

حتى حبك .. حتى آفاقك تؤذيني
فانا روح أسبح كالطيف المقتون

قلبي المجهول يحس شعوراً علوياً
لأحساً يشبه لاوعياً بشرياً

إذذاك أحسك شيئاً بشرياً قللاً
نفة أحلامي ترفضه مهما اتلعا

إذذاك يحسك روحي بعض الأموات
ما سمي «أنت» هوى لم تبق سوى ذاتي

في وجهك أنظر لكي لا أبصره
في روحي أبحث عن شيء أتذكره

أتذكر ! لا أدري ماذا ؟ ماذا كانا ؟
شيء لا شكل محدد ... لا ألوانا !

ألبهم في روعي يبقى في البرسيم
دعه لا تسألني عنه . عن أنغامه

دعني في الغازي العليسا في أسراي
في صمتي ، في روعي ، في مهمه أفكاري

في نفسي جزء أبدى لا تفهمه
في قلبي حلم علوي لا تعلمه

دعه . ماذا يعنيك لتسأل في إصرار ؟
أحب يموت إذا لم تحجبه أسرار

لاني كالليل : سكونٌ . عمق . آفاقُ !
لاني كالنجم : غموضٌ . بعدٌ . إبراق !

خافهني ان فهم الليلُ . لفهم حسّي
والمسني ان لمس النجمُ . لمس نفسي

١٩٤٧

جامعة الظهول

أخيراً لمستُ الحياه
وأدركت ما هي أي فراغ ثقيل
أخيراً تبينت سرّ الفقاقيم واخيتناه !
وأدركتُ أنني أضعت زماناً طويلاً
ألم الظلال وأخبط في عتمة المستحيل
ألم الظلال ولا شيء غير الظلال
ومررت عليّ الليال
وها أنا أدرك أنني لمست الحياه
ولإن كنت أصرخ واخيتناه !

*

ومررت عليّ زمانٌ بطيء العبور
دقائقه تغطي ملالاً كأن المصور

هناك تغفو وتنسى مواكبها أن تدور
زمان شديد السواد ، ولون النجوم
يذكرني بعيون الذئاب .

وضوء صغير يلوح وراء القيوم
عرفت به في النهاية لون السراب
وهم الحياه
فوا خيبتاه

أهذا إذن هو ما لقبوه الحياه ؟
خطوط نطل نخططها فوق وجه المياه
وأصداء أغنية فظة لا تمس الشفاء
وهذا إذن هو سر الوجود ؟
ليالٍ ممزقة لا تعود
وآثار أقدامنا في طريق الزمان الأصم

تمرّ عليها يد العاصفه
فتمسحها دونما عاطفه
وتسلمها للعدم
ونحن ضحايا هنا
تجوع وتعطش أرواحنا الحائره
ونحسب أن المنى
ستملأ يوماً مشاعرنا العاصره
ونجهل أنا ندور
مع الوهم في حلقات
نجزىء ايامنا الآفلات
إلى ذكريات
ونتنظر الغد خلف العصور
ونجهل أن القبور
تمدّ إلينا بأذرعها الباردة

ونجهل أن الستائر تخفي بدأً ما رده

*

عرفت الحياة ، وضقت بجمع الظلال
وأضجرتني أن نجوب التلال
نحديق في حسرة خلف ركب الليال
تسير بنا القافلة

نجوس الشوارع في وحدة قاتله
الأم يخادعنا المبهم ؟
وكيف النهاية ؟ لا أحد يعلم !

*

سنبقى نسير
وأبقى أنا في ذهولي الغرير
ألم الظلال كما كنت دون اهتمام
عيون ولا لون ، لا شيء إلا الظلام

شفاه تريد ولا شيء يقرب مما تريد
وأيد تريد احتضان الفضاء المديد
وقلب يريد النجوم
فيصفه في الدياجير صوت القدوم
يهيل التراب على آخر الميتين
وأقصوة من يراع السنين
تضج بسمي فأصرخ : آه !
أخيراً عرفتُ الحباء !
فواخيبتاه !!

أجراس سوداء

لنمت : فالحياة جفت ، وهذي الأكؤس الفارغات تسخر منا
وغيوم الدهول في أعين الأيام عادت أجلى وأعمق لونا
وسكون الحياة في جسد الأحلام لم يبق قط للعيش معنى
وفراغ الآهات أثبت أننا قد فرغنا من دورنا واتتهينا

وعميقاً في الليل نسمع أقدام الليالي في رهبة ووجوم
ودوي الأجراس يندرننا أننا انتهينا من دورنا المحموم
أن مافي الكؤوس يوشك أن ينضب إلا من حفنة من هموم
أن مافي العيون من عطش الأحلام أهسى رماد حبٍ قديم
وبعيداً في الجوّ تنذرنا الأصوات أن الحياة عادت جنونا
أن لون الخيال قد حال ، وارتدت شحوباً وواقعاً محزوناً
أن " قبل " ، الرجاء أصبح لا " بعد " له فهو فكرة لن تكونا
أن شيئاً في عمق أنفسنا يجذبنا للمات . شيئاً مكينا

ولماذا نبقى هنا ؟ أَوَلَمْ نشبع ونضجر ونرَوِّدوت انتهاء ؟
أَوَلَمْ ندرك النعيم وخمر النصر والحب نابضاً بالرجاء ؟
أَوَلَمْ نعرف الأسى العاصر المجنون والنوم بعد طول البكاء ؟
أَوَلَمْ نُشبع الوجود ومن فيه احتقاراً ونمض باستهزاء ؟

ولماذا نبقى هنا ؟ أسمع الموت ينادي بنا ، فلم لا نجيب ؟
لنمت فالرياح تجرح وجهينا ولون الدجى عميق رهيب
وهنا نحن متعبان ، غريبان ، تعانى بنا الشيايب الكئيب
وهنا نحن ميّتان ولان كان لمرق الحياة فينا وجيب

« الغريبان ... » هكذا يهمس الليل ، وأجراسه تلف الوجودا
أيها الليل ، ان يعيش الغريبان ولن يلمسا مساءً جديدا
خذهما ، أرخ جنحك الأسود الهادىء حوليهما وحلق بعيدا
خذهما ، عزّ أن يقولوا « غريبان » و « كانت أفصوصة لن تعودا »

نهاية السلام

مرّت أيام منطفئات

لم نلتق لم يجمعنا حتى طيف سراب
وأنا وحدي ، أقتات بوقم خطى الظلمات
خلف زجاج النافذة الفضة ، خلف الباب
وأنا وحدي ...

مرّت أيام

باردة تزحف ساحبةً ضجري المرتاب
تزحف في كسلٍ خلف الباب
وأنا أصغي وأعدّ دقائقها القلقات
هل مرّ بنا زمنٌ ؟ أم خضنا اللا زمنا ؟
وغرقنا في مدّ الأوهام
مرّت أيام

أيام تثقلها أشواقى . أين أنا ؟
ما زلت أصدق فى السلام
والسلام يبدأ لكن أين نهايته ؟
يبدأ فى قلبى حيث التيه وظلمته
يبدأ . أين الباب المبهم ؟
باب السلم ؟

*

مررت أيام
لم نلتق ، انت هناك وراء مدى الأحلام
فى أفق حفى به المجهول
وأنا أمشي ، وأرى ، وأنام
أستنفذ أيامى وأجرّ غدى الممسول
فينفر إلى الماضى المفقود
أيامى تأكلها الآهات متى ستمود ؟

مررت أيام لم تتذكر أن هناك
في زاوية من قلبك حباً مهجوراً
عضت في قدميه الأشواك
حباً يتضرع مذعوراً
هيه النورا



عد . بعض لقاء
منحنا أجنحة نجتاز الليل بها
فهنالك فضاء
خلف الغابات الملتفات هناك بحور
لا حد لها ترغي وتمور
أمواج من زبد الأحلام تقلبها
أيدي من نور



عدن ، أم سيموت ،
صوتي في سمعك خلف المنعرج المقوت .
وأظن أنا شاردة في قلب النسيان
لا شيء سوى الصمت الممدود
فوق الأحزان
لا شيء سوى رجم نعلان
يهمس في سمي ليس يعود
لا . ليس يعود .

أنا

الليل يسأل من أنا

أنا سرّ القلق العميق الأسود

أنا صمته المتمرد

قدّمتُ كنيّ بالسكون

ولفقت قلبي بالظنون

وبقيت ساهمةً هنا

أرئو وتسألني القرون

أنا من أكون ؟

والريـح تسأل من أنا

أنا وروحها الحيران أنكرني الزمان

أنا مثلها في لا مكان

نبقى نسير ولا انتهاء

نبقى نمرّ ولا بقاء

فاذا بلغنا المنحنى

خلناه خاتمة الشقاء

فاذا فضاء ؛

والدهر يسأل من أنا

أنا مثله جبارة أطوي عصور

وأعود أمنحها النشور

أنا أخلق الماضي البعيد

من فتنة الأمل الرغيد

وأعود أدفنه أنا

لأصوغ لي أمساً جديداً

غده جليد

والذات تسأل من أنا

أنا مثلاً حيرى أصدق في ظلام

لا شيء يمنعني السلام

أبقى أسائل والجواب

سيظل يحجبه سراب

وأظلم أحسبه دنا

فاذا وصلت إليه ذاب

وخبا وغاب°

غربةاء

أطفئ الشمعة واتركنا غريبين هنا
نحن جزءان من الليل فما معنى السنا ؟
يسقط الضوء على وهمين في جفن المساء
يسقط الضوء على بعض شظايا من رجاء
نسيت نحن وأدموها أنا :
مللاً . نحن هنا مثل الضياء

غربةاء

اللقاء الباهت البارد كالיום المطير
كان قتلاً لا ناشيدي وقبراً لشعوري
دقت الساعة في الظلمة تسماً ثم عشراً
وأنا من ألمي أصغي وأحصى . كنت حيرى
أسأل الساعة ما جدوى حبوري
إن نكن نقضي الأماشي أنت أدرى

غربة ١

مرت الساعات كالماضي ينشئها الذبولُ
كالغد المجهول لا أدري أفر أم أصيلُ
مرت الساعات والصمت كأجواء الشتاء
خلته يخنق أنفاسي ويطنى في دمائي
خلته ينبس في نفسي يقولُ
أنما تحت أعاصير المساء

غربة ١

أطفئ الشَّعة فالروحان في ليلٍ كئيفِ
يسقط النور على وجهين في لون الخريف
أولاً تبصر؟ عينا— انا ذبولٌ وبرودٌ
أولاً تسمع؟ قلبانا انطفأ وخمود
صمتنا أصداً لإنذارٍ مخيفِ
ساخرٌ من أننا سوف نعودُ

غرياءُ !

نحن من جاء بنا اليوم؟ ومن أين بدأنا؟
لم يكن يعرفنا الأمس رقيقين... فدعنا
نظفر الذكرى كأن لم تلك يوماً من صبا
بعضُ حبٍّ نزقٍ طاف بنا ثم سلانا
آه لو نحن رجعنا حيث كنا
قبل أن تفتى ومازلنا كلانا

غرياءُ !

١٩٤٨

أغنية الزاوية

مجبتُ الزوايا التي تلتوي
وراء النفوس

وراء بريق العيون
وأبغضت حتى السكون
وتلك المعاني التي تنطوي
عليها الكؤوس

معاني الصدى والجنون
معاني الخطايا التي تبرق
بريق النجوم

وفي لمسها اللهب المحرق
ولون المموم

كرهتُ الجفون التي تأسرُ

وخلف سماء ابتساماتها
لهيب الحقود
كرهت الا كف التي تعصر
وخلف حرارة وعشاتها
جمود كذلّ الحياه
على جثة تحت بعض اللحود
تعيث بها دودة في برود
كرهت ارتعاش الشفاه
برجم الصلاه
غني كل لفظ خطيئه
تجيش بها رغبات دينئه
وعفت طموحي وبحثي الطويل
عن الخير ، والحب ، والمثل العاليه
وحقرت سعيي الى عالم مستحيل

نخلف انخداعي- تنتظر الهاويه
وعفت جنوني القديم وعفت الجديد
وأودعته في مكان بعيد
دفنت به رغبات البشر
وسمّيته جنة الواهمين
ستمضي السنين
لماذا أحسّ الأسي والضجر
وكفّ المطر
تلفّ على عنقي المحتق
حبال الفكر
وأين أسير وقلبي الترق
هنالك ما زال ، لا يبرد
ولا يحترق
كقلب أبي الهول . أين الغد

أحسّ حياتي تذوب
ففي لحظة واحده
ولا تسحي بدك الباردة
فأغنية الهاويه
تهيب بأقداي الشارده
وتلوي الدروب
ففي لحظة يا حبال الحياه
ولا تتركيني هنا
معلقة بالفراغ الرهيب
فأمسي القريب
تلاشي على آخر المنحنى
وظلّ غدي
تلم أواه لو أهتدي
ففي لحظة واحده

ولا تسجي يدك الباردة
فأغنية الهاوية
ترددها الأنفاس الجانية
تكررها في جنون
على سميّ المجهود
تكررها لم يعد لي سكون
أكاد أسير إلى الهاوية
مع السائرين
وأدفن آخر أحلامي
وأنسى غدي

في جبال الشمال

عد بنا يا قطار

فالظلام رهيب هنا والسكون ثقیل

عد بنا فالمدى شاسع والطريق طويل

والليالي قصار

عد بنا فالرياح تنوح وراء الظلال

وعواء الذئاب وراء الجبال

كصراخ الآسى في قلوب البشر

عد بنا فعلى المنعدر

شبح مكفر^٢ حزين

تركت قدماه على كل فجر أثر

كل فجر تقضى هنا بالآسى والحنين

شبح الغربة القاتله

في جبال الشمال الحزين
شبح الوحدة القاتله
في الشمال الحزين
عد بنا قد سئمنا الطواف
في سفوح الجبال وعدنا نخاف
أن تطول ليالي الغياب
ويغطي عواء الذئاب
صوتنا ويمزق علينا الاياب
عد بنا للجنوب
فهنالك وراء الجبال قلوب
عد بنا للذين تركناهم في الضباب
كل كف تلوح في لهفة واكتآب
كل كف فؤاد
عد بنا يا قطار ، سئمنا الطواف وطال البعاد

وهناك همس عميق
لا تفتح خلف كل طريق
في شعاب الجبال الضخام
ووراء الغمام

في ارتعاش الصنوبر ، في القرية الشاحبه ،
في عواء ابن آوى ، وفي الانجم الناريه ،
في المراعي هناك صوت شرود
هامس ان نعود

فهناك بيوت آخر
ومراعٍ آخر
وقلوب آخر

وهناك عيون أبت أن تنام
وأكف تضيء اللجى في اضطرام
وشفاة تردد أسماءنا في الظلام

وقلوب تصيخ لأقدامنا في وجوم
وتنادي النجوم
في أسيّ وسكون :
« ومتى يأنجوم سيذكرنا الهاربون ؟ »
« ومتى يرجعون ؟ »

لحظة ، سنعود
لن يرانا الدجى هاهنا ، سنعود
سنعود ، سنطوي الجبال
وركام التلال
لن ترانا ليالي الشمال
ها هنا من جديد
لن يحسّ الفضاء المديد
نار آهاتنا في المساء الرهيب

في سكون المساء الرهيب

✱

عد بنا يا قطار الشمال

فهنالك وراء الجبال

ألوجوه الرقاق التي حجبتها الليال

عد بنا ، عد إلى الأذرع الحانيه

في ظلال النخيل

حيث أيامنا الماضيه

في انتظار طويل

وقمت في انتظار

تتحرى رجوع القطار

لتسير مع السائرين

حيث أيامنا تسأل العابرين

واحدآ ، واحدآ ، في حنين

« ومتى عودة الهاربين ؟ »



لنعد فهناك نشيد قديم
حولنا هامس بالرجوع
ما أحبّ الرجوع
بعد هذا الطواف الأليم
في جديب الشعاب
حيث تعوي الذئاب
لنعد، فالدجى بارد كالجليد
وهناك خلف الفضاء البعيد
أذرع دافئه
لنعد فالجبال تكثر عن ليلاها المظلم
وهناك خلف الدجى المبهم
صوت أحيائنا، في الظلام السحيق

تأبضاً بالحنين العميق
صوتهم مثقلاً بالعتاب
صوتهم ردّ دته الشهاب
صوتهم في سكون المكان
دائر كالزمان

لنعد قبل أن يقضي الأفقوان
بفراق طويل ، طويل
هن ظلال النخيل
عن أعزّائنا خلف صوت القطار
عد بنا يا قطار
خالياني قصار

وهناك أحبابنا في أسمى وانتظار

سربتك

١٩٤٨

الى عمى الراحلة

أنا لم أزل في الفجر رانية
تدافع الذكرى على شفتي
الجرح نديان^ة تعيش به
أيامه عادت صدى^ة حاتم
غير ابتسامات^ة ممزقة
للأفق في صمت^ة واعياد^ة
بعض^ة ارتعاشات^ة وأصداء^ة
أصداء ماض^ة ميت^ة ناء^ة
لم تبق منه غير أشلاء^ة
أودت بهن^ة مرارة الداء^ة

تدافع الذكرى وتلائي
الأمس ما زالت كآبة^ة
بالليل كيف سهرته^ة الماء^ة
بدموعي^ة المطشى وحرقتها^ة
باليأس كيف طغت^ة مرارته^ة
أشباحها قللاً وأشجـاً^ة
حري تذكرني بما كانا^ة
بالفجر كيف أطل^ة ظمآننا^ة
بتدفق^ة الاحساس أحزاننا^ة
وتمرت^ة حرقاً ونيراننا^ة

الأُمس هل في الأُمس من 'حام
 هل فيه بعض صدى يناغمني
 لفظ يمرُّ ؟ وبسمة ؟ وبد
 أواه . بعض خطى ألوذ بها
 بعض ابتسامتك التي غربت
 هل فيه ما ينجي من الحرق ؟
 ذكرى ؟ رجاء غير محترق ؟
 مرّت برقتها على قلقي ؟
 من حزني القاسي ومن أرقني
 في الصمت واحترقت على الأفق

الدمع أذرفه ويدرفني
 قطراته نار تمزقني
 عيناى تحترقان من ألم
 جرحان لاجفنان أين غدي ؟
 ما للحياة هوت أشعتها
 قلباً يحن أسي ويحتضر
 ما زال منها في دمي أثر
 تدمى وتقطر فيها الصور
 أين الطبيعة والهوى النضر ؟
 ليلاً وعكراً جوها القدر ؟

أين التفتُ تصدّتي صورٌ
ذكرى من الماضي تخطمني
أواه كيف سقطت مية
وأنا أعيش رؤى ممزقة
تلفت الذكرى إليك وبني
وحشية ، وشتيت آلام
وتظل تصهر جفني الدامي
وأنا أعيش . وتلك أوهامي
وأحوك أهوائي وأحلامي
ظلماً بعمّ جوّ أيامي

وأريد أن أنسى فتخفني
أبقيت جرحاً حافراً قلقي
كفّ الحنان نسيت ملمسها
لم يبق منها غير أغنية
وسهرت أنشدها وأنشدها
رّعات حزنٍ ساهد مرّ
في قلب أحلامي وفي شعري
وفقدت معبرها على شعري
جفت مرادتها على ثغري
في ليلةٍ مأسورة الفجر

أواه من حزني ومن ظمائي
القبر ضحك في برودته
لا طير يوقظ فيك عرق هوى
الظن مرة وأنت ساهية
والنجم لاح وأنت هامة

هل عدت طيفاً مطلقاً المقل
بعد ارتعاشة قلبي الخضل
لا شيء يبعث خامد الأمل
عن رقصه وشعاعه الثمل
لا تعبأين بضوئه الخجل

وتمر أصداء الحياة ضحى
صوت المؤذن كم سهرت له
ما بال رعشته تمر على
ما بالها لا ذت بغربتها
تبكي وترسم في انتفاضتها

بوسادك المحزون وأسفا
ما باله في مسميك غفا ؟
قلب تناسى كيف أمس هفا
ومضت تباكي حولك (النجفا)
صوتاً يبيت الليل مرتجفا

أوحيدة في القبر هامة
خصلات شمر ك فوقه حرق
ومكان رأسك في الوسادة في
وقيصك الباكي أما بقيت
كيف انطويت وأنت خالدة

أصني وهل تصفين؟ هل بلغت
كيف انتفضت وأنت هامة
تتمثر النفسمات في شفتي
مزقت أياي التي سلفت
وأضمت أفراحي ومن عبث

وأنا أمس سريرك الخاوي
في عمق يأس الصارخ الداوي
قلبي بقايا كوكب هاو
فيه حرارة جسمك الداوي
في أدمعي؟ شأت يد الطاوي

مشواك أصداء ارتعاشاتي
في مخابي ألي وآهاتي
بصراخ أحزاني وأثباتي
ودفنت فيك بشاشة الآتي
شبه ابتساماتي وضحكاتي

السكوا لبرا

سكن الليلُ

أصغ إلى وقع صدى الأُناتُ
في عمق الظلمة ، تحت الصمت ، على الأموات
صرخات تعلو ، تضطربُ
حزب يتدفق ، يلتهبُ

يتعثر فيه صدى الآهات

في كل فؤادٍ غليانُ

في الكوخ الساكن أحزان

في كل مكانٍ روح تصرخ في الظلمات

في كل مكان يبكي صوتُ

هذا ما قد مزقه الموتُ

الموتُ الموتُ الموتُ

يا حزن النيل الصارخ ممّا فعل الموتُ !

طلع الفجرُ
 أصبح إلى وقع خطى الماشين
 في صمت الفجر ، أصبح ، انظر ركب الباكين
 عشرة أموات ، عشرونا
 لا تحص أصبح للباكين
 لسمع صوت الطفل المسكين
 موتى ، موتى ، ضاع العدد
 موتى ، موتى ، لم يبق غد
 في كل مكان جسدٌ يندبه محزون
 اللحظة إخلاد لا صمت
 هذا ما فعلت كف الموت
 الموتُ الموتُ الموتُ
 تشكو البشرية تشكو ما يرتكب الموت

ألكوليرا

في كهف الرعب مع الأشلاء
في صمت الأبد القاسي حيث الموت دواء

استيقظ داء الكوليرا

حقداً يتدفق موتورا

هبط الوادي المرح الوضاء

يصرخ مضطرباً مجنوناً

لا يسمع صوت الباكينا

في كل مكان خاف مخليه أصدا

في كوخ الفلاحة في البيت

لا شيء سوى صرخات الموت

ألموت الموت الموت

في شخص الكوليرا القاسي ينتقم الموت

أصبتُ مريراً

لا شيء سوى رجم التكبير

حتى حفرَ—بار القبر ثوى لم يبق نصير

الجامع مات مؤذنه

ألميت من سيؤبته

لم يبق سوى نوح وزفير

الطفل بلا أم وأب

يبكي من قلب ملتهب

وغداً لا شك سيلقفه الداء الشرير

يا شبح الهیضة ما أبقيت

لا شيء سوى أحزان الموت

الموت ، الموت ، الموت !

يا مصر شعوري مزقته ما فـلـ الموت !

لنكنه أصدقاء

لنكن أصدقاء

في متاهات هذا الوجود الكثيب

حيث يمشي الدمار ويحيا القناء

في زوايا الليالي البطاء

حيث صوت الضحايا الرهيب

هازئاً بالرجاء

لنكن أصدقاء

فميون القضاء

جامدات الحق

ترقق البشر المتعبين

في دروب الأسى والآثين

تحت سوط لزمان النزق

لنكن أصدقائه
الأكف التي عرفت كيف تنجي الدماء
وتحز رقاب الخليلين والابرياء
ستحس اختلاج الشعور
كلما لامست إصبعاً أو يدا
والعيون التي طالما حدقت في غرور
ترمق الموكب الأسود
موكب الرازحين العبيد
هذه الأعين الفارغات
ستحس الحياة
ويعود الجمود البليد
خلقها الف عرق جديد
والقلوب التي سمعت في انتعاش
صرخات الجياع العطاش

ستذوب بكاءً على الجائعين
ستذوب لتسقي صدى الظالمين
كأسه وتكن ملئت بالأنين

انكن أصدقاء
نحن والظالمون
نحن والعزل المتعبون
والذين يقال لهم « مجرمون »
نحن والاشقياء
نحن والشلون بخر الرخاء
والذين ينامون في القفر تحت السماء
نحن والتائهون بلا مأوى
نحن والضارخون بلا جدوى
نحن والأسرى

نحن والأثم الأخرى
في بحار الثلوج
في بلاد الزنوج
في الصحارى وفي كل أرض تضم البشر
كل أرض أصاغت لآلامنا
كل أرض تلقت توأيت أحلامنا
ووعت صرخات الضعير
من ضحايا القدر

لنكن أصدقاء
ان صوتاً وراء الدماء
في عروق الذين تساقوا كؤوس العدا
في عروق الذين يظنون كالمجانين
يطعنون الإخاء

يطعنون أعزّاءهم باسمين
في عروق المحبّين . . . والمهاريين
من أحبّائهم ، من نداء الحنين .
في جميع العروق
أن صوتاً وراء جميع العروق
هامساً في قرارة كل فؤاد خفوق
يجمع الأخوة النافرين
ويشد قلوب الشقيّين والضاحكين
ذلك الصوت ، صوت الاخاء
فلنكن أصدقاء

في بعيد الديار
ووراء البحار
في الصحارى ، وفي القطب ، في المدن الآمنة

في القرى الساكنة
أصدقاء بشر
أصدقاء ينادون أين المقر ؟
ويصبحون في نبرة ذابله
ويموتون في وحدة قائله
أصدقاء جياع ، حفاة ، عراة
لفظانهم شقاء الحياء
لأنهم أشقياء
فلنكن أصدقاء

من بعيد
صوت عصف الرياح الشديد
ناقلا ألف صوت مديد
من صراخ الضحايا وراء الحدود

في بقاع الوجود
الضحايا ، ضحايا العراق
وضحايا القيود
وصدى « هياواتنا » هناك
مثقلاً بأنين الجياح
بأسى المصطلين لظى الحمى
بالذين يموتون دون وداع
دون أن يعرفوا أمّا
دونما آباء
دونما أمهات

١٩٤٨

جنانة المرح

سأغلق نافذتي فالضياء
سأسدل هذا الستار السميك
وأطرد صوت الرياح البليد
وأسند رأسي إلى الذكريات
وأرسل حيي ياف القاتل
لعلي أرد إليه الحياة
يعكّر ظمّتي الباردة
على صفحة القصيدة البائدة
وإشعاع الانجم الخاقدة
وأغمس عيني في دموعين
ويدفئ جبهتي الهامدة
وأمسح من زرقة الشفتين

سأغلق نافذتي فالقتيل
وأكره أن يتمطى الضياء
على جبهة زرعته النجوم
وكانت تشمّ الحياة فعادت
تخطّ عليها ذراع الممات
أمرّ عليها بكفي فأمر
يحبّ الظلام العميق العميق
على جسمه الشعاعي الرقيق
ولوّنّها ضوءها بالبريق
تمجّ الأسى والردى والعذاب
أساطير عهد سحيق سحيق
خ رعباً وأسقط فوق التراب

سأغلق نافذتي فالظهير ة لا ينتهي حقدُها الرابع
 تصب سكينتها في برود ويسخر بي وجهها الغاضب
 يطاردني صمتها السرمدى ويكئني لونُها الراسب
 وأين المفر؟ تكاد الستائر تدخلها غرقتي المظلمة
 وأين المفر؟ وهذا القتل يروني وجهه الشاحب
 أمامي القتل وخلفي الظهير ة يا لله طاردة المؤلمة

سأصبر حتى يجيء الدجى ويفرب خاف الوجود الضياء
 فأحمل هذا القتل البريء الى هوة من كهوف المساء
 أسير بأشلائه موكباً بطيء الخطى كليلي الشتاء
 وتتبعني شهقات التذكار ر مهدومة في أسيّ وشرود
 وفي آخر الموكب المترنح وجهه يشبه في ازدراء
 وفي آخر الموكب المترنح وجهه يشبه في برود

عرفت الجبين عرفت الشفاه
عرفت بها وجه حزني الدفين
وفي يسده مُدنية لم يزل
عرفت المدونة ~~بالحجر~~ اللجوج هناك
يحدث مستهزئاً بالقنـيـل
نعم هو... أعرفه جيداً !

وهذي العيون الغلاظ الأديم
وقد عاد يحمل جرحي القديم
على خدّها دم أمسي الأليم
يسير على أثر الموكب
ويضحك ضحكة فظ أثيم
فكم مرة قبلُ قد مرّ بي

وأبصرت في أثري ألف طيف
عرفت بها البسمات التي
عرفت بها الضحكات التي
أهذي اذن بسماني ؟ حناناً
أهذي اذن ضحكاتي ؟ أهذي
وهذا القليل أحقاً فقدت

حزيت تلمع بالمبرات
لقيت بها لطحات الحياة
سكنت نداها على الذكريات
أعدت عبوساً ورجم أنين ؟
نهاية ماصفت من بسمات
به مرّحي المضمحل الدفين ؟

يوتوبيا في الجبال

« مهرة الى افنى اعساره التي شهرت

معى مولرها عنر عين الماء التليمة المحررة

بين صخور - سربتك الملوثة »

تفجري يا عيون

بالماء بالأشعة الذائبة

تفجري بالضوء ، بالألوان ، فوق القرية الشاحبه

في ذلك الوادي المنعش بالدجى والسكون

تفجري بالاحون

فوق البساط السفح بين التلال

في المنحنى حيث تموج الظلال

تحت امتداد النصوص

تفجري بالجمال

وشيتدي يوتوبيا في الجبال

يوتويا من شجرات العمم
ومن خريير المياه
يوتويا من نعم
نايضة بالحياه
تفجري ، سيلي على منحدرات الصخور
حيث يطير الفراش
في نشوة وارتماش
تفجري حيث تنام الطيور
في جنة من عطور
حيث يغطي السفح غاب كثيف
صنوبري الحفيف
تفجري نقيه فوق حصي المنحدر
في عطفة الوادي العميق الخفيف
في ظلال الجوز الرقيق الوريث

تحت انبساط الشجر
تفجري في الصباح
تفجري جارية كالرياح
تفجري في الغروب
وشيدي يوتويا من قلوب
من كل قلب لم تطأ الحقود
ولم تدنسهُ أ كف الر كود
من كل قلب شاعري عميق
لم يتمرغ بخطايا الوجود
من كل قلب رقيق
منستغرق في حلمه لا يفيق
إلا على حطم بعيد المدى
ليس له من حدود
حلم تحدي القدا

من كل قلب لا يطيق الجمود
ولا صرير القيود

تفجري بيضاء فوق الصخر
لونا وضوء يتعدى كل رجس البشر
تفجري لن يسأم المنعدر
سيلي على النائمين
وأغرقني تهوية الظالمين
فيضي على الميتين
على قلوب لا تحس الحنين
على عيون لم تطهرها أكف البكاء
على نفوس لا تحس السماء
على أكف تجهل الكبرياء
سيلي بعيداً في القرى الجاهله

حيث الحفاة العراء
وحيث لا يباغ سمع الحياء
إلا صراخ الآتفس الضارعه
إلا عواء الذئاب
في عطفة الوادي الشقي الحزين
في شامقات المصاب
وحيث لا تبصر عين السنين
إلا أسي المتعبين
قوافل يحدوها أشقياء
في جنة من رخاء
قوافل الجائعين
في ذلك الوادي الخصب التراب
قوافل الظاهئين
يلتمسون السراب

والماء يحتاج انزلاق السنين
قوافل للملال:

يحرمها الكد نقاء الجبال
قوافل مجت رنين القووس
وغيرها للكؤوس

للنوم والأحلام تحت الظلال
أنصاف موتى لا تحس الجمال

تفجري بأمياه

تفجري فوق قبور البشر

تفجري في الصخر

وسجلي مأساة هذي الحياه

فوق جبين القدر

ما زالت القربة منذ القدم

أقصوصة ممزوجة بالألم
قصت أساما الرياح
على شعوب الصباح
تفجري سبلي وغطي القمر
ألقي على القصة ستر العدم
لا تذكرى هذا النشيد الحزين
ما كان إلا رجوع صوته وهون
أصغبت إليه النسيب
في لحظة ، ثم مضت في سكون

سريتك

١٩٤٨

وجوه وصاايا

يا كؤوس الأحلام يا من تخيلتك أفقاً تضمه الأضواءُ
آه لو تدركين ، كيف أحسّ الكون صحراء خلفها صحراء
والرحيق الذي حلت به ، كيف طوته المرارة الخرساء
كيف حين استلمت كأس أرسات دموعي ولم يقدني ارتواء
لارتوائي، أواد من حرق الروح ، لماذا تظل روحي ظمأى؟
لارتوائي، هذا السراب الذي يركض قلبي وراءه وهو يتأى
لارتوائي حسبته شفقاُ حلواً فلما دنوت لم أر شيئاً
ليس الا اللاشيء يصدم شوقي ويذيب الأحلام جزءاً لجزء
الفراغ ، الفراغ يقتلني ، أواد لو كان للوجود وجود
آه لو لم تحُلْ مواقع أقدامى امتداداً حدوده اللاحدود
السكون ، السكون يغرفاهُ وغداً يغرب الهوى والنشيد
والظلام الظلام يطنى عينيَ فماذا أحس ؟ ماذا أريد ؟

أيها الليلُ ليلَ رُوحِي ، أَمَا مِنْ مَلْجَأٍ مِنْ بُرُودَةِ الظُّلْمَاءِ ؟
ظُلماً صَارَخَ بِأَعْمَاقِ نَفْسِي لِشِعَاعِ مَسَاسِلٍ مِنْ ضِيَاءِ
آه لَوْ لَمْ يَحُكْ رَجَائِي الْإِلَهِيُّ سَرَاباً مُتَحَلِّلاً وَبَعْضَ عَزَائِ
آه لَوْ كَانَتْ السَّعَادَةُ شَيْئاً غَيْرَ هَذِهِ الْفَقَاعَةِ السُّودَاءِ !

لَقَبَّوْهَا الْحَيَاةَ وَهِيَ اضْطِرَابُ أَيْدِيٍّ وَلَهْفَةٌ لَا تَقَرُّ
وَامْتِدَادُ الْإِلَهِيَّةِ لَا يَبْدَأُ ، لَا يَنْتَهِي ، فَأَيْنَ الْمَفْرَقِ ؟
لَقَبَّوْنِي « أَنَا » وَلَمْ يَفْهَمُونِي مَا أَنَا ، مَا وَجُودِي الْمَكْفُهِرِ ؟
أَنَا مَاذَا ؟ تَحَرَّقُ لَيْسَ يَرْتَاحُ ، وَظَلُّ سُرْعَانِ مَا سِينَرُ ..

فِي صَفَاءِ الْمِرَاةِ ، حَدَقْتُ فِي طَبْقِي طَوِيلًا وَالشَّكَّ فِي مَقْلَتِيَا
كَأَنَّ شَاحِبَ يَحْدَقُ فِي وَجْهِ ، مِثْلِي ، مَحِيرًا ، مَطْوِيًا
هَذِهِ ، هَذِهِ « أَنَا » . لَيْسَ مِنْ شَكٍّ فَلَمْ لَا أَمْسَهَا بِيَدَيَا ؟
لَمْ لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَمْسَ الذَّاتَ ؟ وَأَحْوَى تَحَرَّقَ فِي الْأَبْدِيَا ؟

ثم ماذا ؟ أمدّ كفتي في شوق عميق ، فلا أعانق ذاتي
صدمة صدمة تمزق روحي ليس إلا برودة المرآة
الزجاج الجبار شفّ ولكن عن مثال مشوه للحياة
عن كيان رسمته أنا وحدي فاذا غبتُ غاب في الظلمات

الكيان المسوخ ها أنا أحموه كفاه جزء بنار أساية
ضربة من يدي ! تحطمت المرآة فوق الثرى وعادت شظايا
ليتني كنت صنتها . عاد وجهي ألف وجه تطل منها الضحايا
ليتني كنت صنتها . ليتني أعلم كيف المرآة عادت مرايا !!

قبر بنفجر

ناديتُ أكداس الرمال: تفجري لن تدفني جشدي النقيّ الثائرا
وهتفت يا روح المات : تمزقي لن تحبسي قلبي الجريء الساخرا
وصرخت بالأرض الدنيئة : ارفعي من قلب هذا الطين روعي الشعرا
هذا فؤادي نابضاً ، هذا دمي متفجراً تحت التراب مشاعرا

بالأمس في هذا الظلام دفنتني تحت الثرى ولقفتني بصخوره
لم تسمعي دقات قلبي في الدجى وأشجعت عن إحساسه وشموره
لم تنهي روعي وخات سكونه موتاً ولم يبلغك رجم هديره
ووهمت أيتها الحياة فلم تَرَي في أدمي غير الردى وفتوره

ما تفع أكداس التراب جميعها ؟ الآن ينفجر التراب الفاصب
أجنة الظمأى التي أودعتها بالأمس والوجه الكئيب الشاحب
الآن ينفجرات ناراً حية ويسابق الأعصار روي الصاخب
والآن ينبشقان من قلب الثرى ويعود لي الأمل الجميل الذاهب

ما خلته صخرأ إليك وجية ما خلته صمتأ إليك نشيده
القبر ضج وضاق تحت عواطفي والطين حولي لن أطيق ركوده
هذا الرماد حذار من أعماقه فورا ر نسيت رعوده
يا من حسبت النار طينأ خامداً ونسيت إعصار الصبا وخلوده

هذي العيون حذار منها . انها خلف الجفون عميقة أغوارها
هذي العروق حذار من فورانها فقدأ سيصرخ في المدى إعصارها
هذي الشفاه حذار من سكناتها فقدأ ستجتاح المدى أشعارها
هذا القواد حذار من غفواته فورا ر قدأه الحياة ونارها

ناديت أكداس الرمال : تفجري
وصرخت بالأرض الدنيئة: ارفعي
فلذا الحياة مشيخة عن صرختي
وأنا على صدر التراب تمرد
وهتفت يا روح المات ، تمزقي
أسر التراب عن الشباب المرهق
لم يأتهم — نعم اللهب المحرق
حرٌّ ، ونار توثب وتحرق

لم يبق إلا أن يحطم ساعدي
سأفجر القبر الصغير حجارة
وسأصرع الموت الضعيف وأنتني
وسأثر الألمان في صمت الدجى
هذي القيود وها أنا، هذي يدي
وأطير من أمسي القريب إلى غدي
بمخاوفي وسعادتي وتنهدتي
يا أنجم الليل المضيفة فانهدي

ناديت أكداس الرمال : تفجري
وجعت أحلامي ومزقت الثرى
وفتحت صدري للضياء وسحره
أنا حية يا أرض . هذي نعمتي
فتفجرت تحت المساء المظلم
بصفائها ووقفت تحت الأنجم
وصرخت بالكون الجميل الملهم
هذا نشيد فؤادي المتكلم

ذكريات

كانت ليـل ، كانت الأتـجم لغزاً لا يحل
كانت في روعي شيء صاغه الصمت الممل
كانت في حسي تخدير ووعي مضطحل
كانت في الليل جمود لا يطاق
كانت الظلمة أسراراً تُراق
كنت وحدي لم يكن يتبع خطوي غير ظلي
أنا وحدي ، أنا والليل الشتائي ... وظلي !

*

لم أكن أحلم لكن كان في عيني شيء
 لم اكن أبسم لكن كانت في روحي ضوء
 لم اكن أبكي ولكن كان في نفسي نوء
 مرّ بي تذكر شيء لا يُحمد
 بعض شيء ماله قبله وبعده
 ربما كان خيالاً صاغه فكري ويلي
 وتلفتٌ ولكن لم أقابل غير ظلي
 كان صمتٌ راکدٌ حولي كصمت الأبدية
 ماتت الاطيّارُ أو نامت بأعشاش خفية
 لم يكن ينطق حتى الرغبات الآدمية
 غير صوت رنّ في سمعي وذابا
 لحظة لم أدرك حتى أين غابا
 آه لو أدركت من ألقاه في الصمت المذل
 أتراني لم أكن أمشي أنا وحدي وظلي؟

كانت الظلمة تمتد إلى الأفق الغريب
كل شيء مغرق فيه — أكتلي كشموني
ظلمة ممتدة كالوهم ، كالوت الرهيب
غير ضوء خاطف مرة بجفني
لحظة لم تدرك ماذا كانت ، عيني
كانت ضوء لونه نوت خيال مضطرب
مرة بي لحماً وأبقاني أنا وحدي وظلي
كان في الجو الشتائي* ارتماش وجهود
جد الظل من البرد وغشاه الركود
ليلة يرجف في أجوائها حتى الجليد
غير دفء طاف في قلبي الوجيه
فزت فيه من شتائي بربيع
وإذا في عمق قلبي فرحة الفجر المثل
غير أنني كنت في الليل أنا وحدي وظلي

كان في روعي فراغٌ جائمٌ كاللأنهم — إياه
 كانت ظلي صامتاً لا لحن لا رجع حكاياه
 باهتاً يتبع مسرى خطواتي دون غايه
 غير كأس عبرت حين صرختُ
 قطرة واحدة ثم ارتويت
 أتراه كان أكذوبة إحساسي المضل
 أو ما كنت أنا وحدي مع الليل وظلي ؟
 كانت قلبي متعباً يسكنه حزنٌ فظيمٌ
 رقصت فيه وشدته إلى الجرح دموع
 صور في قمره يصبغ مرآها النجم
 كان ، لكنّ يداً مرت عليه
 حملت بعض تحاياها إليه
 باركت آلامه السوداء كانت يد طفل
 أي طفل ؟ لم يكن في الليل غيري غير ظلي !

١٩٤٨

نهم

أمر عما تحس حياتي وارسم احساس روعي الغريب
فابكي اذا صدمتني السنين بخنجرها الأبدى الرهيب
وامضحك مما قضاء الزمان على الهيكل الآدمي المجيب
وأغضب حين يداس الشهور ويسخر من فوران اللهب

أعبر عن كل حس أعياه
وابكي الحياة ولا أنكر
وامضحك من كل ما تحتويه
وأغضب لى كنتى أشعر

*

يقولون شاعرة في السحاب تخلق خلف سراب النجوم
 أنايية لا تحس الوجود وان صرعه جبال الغيوم
 خيالية تمت الكائنات وتخلق عالمها في الغيوم
 خريفية تذكر الضاحكين لتدفن جبهتها في الهموم

أنايية وأحب البشر
 خيالية وحياتي تسير
 خريفية وأناجي الزهر
 وعاطفتي لهب من شمع

*

يقولون : عاشقة للظلام تحب الدياجي وتهوى السكون
 وتنشد أشعارها للرجال وترسم أحلامها للعيون
 تحب الحياة ولكنها تمكرها بخيال المنون
 ترى جوها غيباً حالكاً يضيق بأثامه الملهون

أحبّ الظلام ولكنتي
أثود على كل أحلامكم
أحب الحياة على أنني
أحقّر موكب أيامكم

*

يقولون : جامدة الحس تحيا مع الأمل في حُلم جامد
يقولون : صوفية فالحياء تنوح على حسنها الخامد
عواطفها جدت كالنجوم كتهوية القمر البارد
وتخليقها كان ثم اتحى على صدر إحساسها الراكد

يقولون لكنتي تائهة
ألوذ بصمتي الخفي الغريب
أعيش حياتي كالآلهة
وقلي شعور وروحي لميب

يقولون دعمهم فداً يعلمون ودعني أنا للشذى والجمال
أحبّ الحياة بقلبي العميق وأمزج واقعها بالخيال
أحب الطبيعة حبّ جنون أحب النخيل أحب الجبال
وأعشق ذاتي في عمقها خيال وجود عميق الظلال

وأهتف يا نار قلبي الغريب
وموج أحاسيسي الشائره
إذا اتهموا فلماذا أجيب
بغير ابتسامتي الساخره ؟

١٩٤٧

رماد

أهكذا داست علينا الحياه
لم تبق الا الندم الأسودا
لم تبق لنا صدق
وصوت وانجيتاه

أهكذا لم يبق إلا الرماد
أليس من كوكبنا الآفل
في الموقد الذابل
إعاضة تستعاد

أليس عنـا نبأ أو نشيد
ألم تعد قصتنا البائده
أو همسة واحده
توقظ عرقاً جديداً

ألم يعد قط لنا من مكان
أليس في كاساتنا الخاليه
في القصة الجاريه
شيء يهم الزمان

وذلك الموكب والسائرون
لم يدركوا أن هوانا اندثر
فوق ثرى المنحدر
في عمق قبر السكون.

ووقع أقدام الهوى الراحله
تنقلها الريح فلا تستعيد
الى مكان بعيد
أحانها القافله

ونحن ما زلنا نجر الحنين
أقيادنا مثقلة بالحياة
والأمس والذكريات
ونحن في الميتين

ونحن ما زلنا نسوق الرماد
وأذرع الأحلام ترجو سدى
لنطعم الموقدا
خلق غدٍ من جهاد

وبعث ماضٍ لوز أركانه
أمسى رهيباً تنكر الأيام
من مزق الأحلام
عاري جدران

أُسي بعيداً تحجب الوديان
تعت فيه الهدأة السامه
أسواره القائمه
ويحكم النسيان

والريح لم تبق على بابـه
لم تبق حتى وقع أقدامنا
حروف أسمائنا
في جو محرابه

وربما طافت به في زهول
تطوف حول الغرف الخاليه
أشباحنا الباكيه
سدى تريد الدخول

أشباحنا يضلها الأعصار
تظل ولهى تلطم الأبواب
نحت غلاف الضباب
والحسائط المنهار

أشباحنا حافرة في ارتعاد
لا صورة تنبض فيها حياة
مقبرة الذكريات
لا شيء غير الرماد

تَنصت في رعبٍ وفي إعياءٍ
خلا تمي إلا بقايا أنين

عند السياج الحزين
ترسله الأقباء

أشباحنا تستفهم النسيان
تقلا ترى إلا الردى الجائم

عن أمسها الضائع
يقوض البنيان

بواذرع السرو تمد الدهول
كأنها تقذف فوق لقياب

فوق شحوب الخراب
معنى الردى والذبول

ولفظاة واحدة واحدة
سمعتها تفح كالأفعوان

تكررت في المكان
في الشرف الباردة

أبصرتها مكتوبة بالهيب
موفوق ساق السروة العارية

في الغرف البالية
وفي القناء الجديب

أحسستها تهمس معنى «مضى»
أبصرتها في كل ركن رهيب
ملء المساء الكئيب
أبصرت لفظ انقضى

وتلتقي أشباحنا في المساء
تنظر في تقطية ساهم
باردة واجم
في سورة من غباء

أشباحنا تطلب ماضينا
«كيف انقضى» ألم يعد في الدار
لا تدرك الأسرار
صوت ينادينا ؟

أهكذا داست علينا الحياة
لم تبق إلا الندم الأسود
لم تبق منا صدى ؟
وصوت واخيتناه

الخبط المشهود في شجرة السرد

— ١ —

في سواد الشارع المظلم والصمت الأصم
حيث لا لون سوى لون الدياجي المدلهم
حيث يرخي شجر الدفلى أساه
فوق وجه الأرض ظلاً

قصة حدثني صوت بهائم اضمحلاً
وتلاشت في الدياجي شفتاه

— ٢ —

قصة الحب الذي يحسبه قلبك ماتاً
وهو ما زال انفجاراً وحياة
وغداً يعصرُك الشوق إلينا
وتناديني فتعيسى ،
تضبط الذكرى على صدرك عبثاً

من جنون ، ثم لا تلمس شيئاً
أي شيء ، حُلم ، لفظ رقيق
أي شيء ، ويناديك الطريق
فتفريق .

ويراك الليل في الدرب وحيداً
تسأل الأمس البعيداً
أن يعوداً
ويراك الشارع الحالم والدفلى ، تسير
لون عينيك انفعال وحبور
وعلى وجهك حب وشعور
كل ما في عمق أعماقك مرسوم هناك
وأنا نفسي أراك
من مكاني الداكن الساجي البعيد
وأرى الحلم السعيد

خلف عينيك يناديني كسيرا
... وترى البيت أخيرا
يبتنا ، حيث التقينا
عندما كان هو انا ذلك الطفل الغريبا
لونه في شفقتنا
وارتعاشات صباه في يدينا

— ٣ —

وترى البيت فتبقى لحظة دون حراك :
« ها هو البيت كما كان ، هناك
لم يزل تحجبه الدفلى ويخنو
فوقه النارج والسرو الأغن
وهنا مجلسنا

ماذا أحس ؟

حيرة في عمق أعماقي ، وهمس

ونذير يتحدّى حاتم قلبي
ربما كانت ... ولكن فيم رعي ؟
هي ما زالت على عهد هوانا
هي ما زالت حنانا
وستلقاني تحاياها كما كنا قديما
وستلقاني

وتمشي مطمئناً هادئة
في الممرّ المظلم الساكن ، تمشي هازئة
بهتاف الهاجس المنذر بالوهم الكذوب :
« ها أنا عدتُ وقد فارقتُ أكداس ذنوبي
ها أنا ألمح عينيكِ تطلُّ
ربما كنتِ وراء الباب ، أو يختفيك ظل
ها أنا عدتُ ، وهذا السُّلمُ
هو ذا الباب العميق اللون ، مالي أحجم ؟

لحظة ثم أراها

لحظة ثم أعى وقع خطاها

ليكن... فلا طرق الباب...

وتمضي لحظات

ويصر الباب في صوت كئيب النبرات

وترى في ظلمة الدهليز وجهاً شاحباً

جامداً يعكس ظلاً غارياً :

«هل...؟» وينجس صوتك المبحوح في نبر حزين

«لا تقولي إنها...»

«يا للجنون!»

أيها الحالم، عمن تسأل؟

إنها ماتت!

وتمضي لحظتان!

أنت ما زلت كأن لم تسمع الصوت المثير

جامداً ، ترمق أطراف المكان
شارداً ، طرفك مشدود الى خيطٍ صغير
شدّ في السروة لا تدري متى ؟
ولماذا ؟ فهو ما كان هناك
منذ شهرين . وكادت شفتاك
تسأل الأخت عن الخيط الصغير
ولماذا عاقوه ؟ ومتى ؟
ويرنّ الصوت في سمعك : « ماتت .. »
« إنها ماتت .. » . وترنو في برود
فترى الخيط حبلاً من جليد
عقدتها أذرع غابت ووارتها المنون
منذ آلاف القرون
وترى الوجه الحزين
ضغمة سحب الرعب على عينيك . « ماتت .. »

هي « ماتت . . » ؟ لفظة من دون معنى
وصدى مطرقة جوفاء يعلو ثم يفتى
ليس بعنيك تواليه الرتيب
كل ما تبصره الآن هو الخيط المعجب !
أتراها هي شدته ؟ ويعلو
ذلك الصوت الممل
صوت « ماتت » داوياً ، لا يضمحل
يلاً الليل صراخاً ودوا
« إنها ماتت » صدى يهيم به الصوت ملياً
وهتاف ردّته الظلمات
وروّته شجرات السرو في صوت عميق
« إنها ماتت » وهذا ما تقول العاصفات
« إنها ماتت » صدى يصرخ في النجم السحيق

وتكاد الآن أن تسمعه خلف العروق !

— ٥ —

صوت « ماتت » رنّ في كل مكان
هذه المطرقة الجرفاء في سمع الزمان
صوت « ماتت » خائق كالآفدوان
كل حرفٍ عصبٍ يلته في صدرك رعبا
ورؤى مشنقة حمراء لا تملك قلبا
وتجنّي مخابٍ مختلجٍ ينهش نهشا
وصدى صوت جحيميّ أجشّا
هذه المطرقة الجرفاء : « ماتت »
هي ماتت ، وخلا العالم منها
وصدى ما تسأل الظلمة عنها
وصدى تصفي إلى وقع خطاها
وصدى تبثث عنها في القمر

وسدىّ نحلّم يوماً أن تراها
في مكانٍ غير أقباء الذِكرِ
لأنها غابت وراء الأتجم
واستعالت ومضت من حلم

— ٦ —

ثم ها أنت هنا ، دون حراكٍ
متعباً ، توشك أن تنهار في أرض المر
طرفك الحائر مشدود هناك
عند خيطٍ شدي في السروة ، يطوي ألف سر
ذلك الخيط الغريب
ذلك اللغز المريب
لأنه كل بقايا حبّك الداوي السكيب .

— ٧ —

ويراك الليل تمشي عائدا

في يديك الخيطُ ، والرِيشةُ ، والعِرْقُ المَدَوِّي -
« انها ماتت » . . » وتمضي شاردة
عابثاً بالخيط تطويه وتلوي
حول إبهامك أخراه ، فلا شيء - سواءُ
كلُّ ما أبقى لك الحبَّ العميقُ
هو هذا الخيط واللفظ الصفيق
لفظ « ماتت » . وانطوى كلُّ هتاف ما عداه :

١٩٤٨

للقارى

وردت في سياق القصائد بضم كلمات أوربية ، قد يهم القارىء أن يقرأ لكل منها شرحاً موجزاً :

يوتوبيا Utopia

كلمة أغريقية معناها « لا مكان » استعملتها الدلالة على مدينة شعرية خيالية لا وجود لها إلا في أحلامي ، ولا علاقة لهذه المدينة بيوتوبيا التي تخيلها الكاتب الانكليزي توماس مور في كتاب ألفه باللغة اللاتينية سنة ١٥١٦ ورسم فيه صورة سياسية إدارية للجزيرة المثلى كما يريد لها هو ، قياساً على جمهورية أفلاطون .

ديانا Diana

عند اليونان القدماء ، إلهة القمر ، وحامية الصيد . كانوا يتخيلون أنها تسوق عربة القمر البيضاء كل مساء عبر السماء .

نارسيسس Narcisse

زهرة النرجس . في الأساطير اليونانية القديمة أن نارسيسس كان شاباً فاتناً شديد الغرور بجماله ، فعاقبته الآلهة على كبريائه بأن جعلته يعشق

حورته ، بعد ان رآها منعكسة في ماء بحيرة صافية ذات يوم . ثم رقت له
فحولته الى الزهرة التي ما زالت تحمل اسمه .

أبولو Apollo

إله الوحي والفن، وقائد عربة الشمس في الفضاء عند قدماء الاغريق،
وهو شقيق ديانا التي مر ذكرها .

لابيرنت Labyrinth

كلمة اغريقية الأصل ، معناها بناء ذو مسالك معقدة وأبواب لا حصر
لها متصلة بعدد كبير من المرات والدواليز والاقباء ، بحيث إذا دخله
انسان لم يملك الخروج منه .

وقد استعملت هذه اللفظة في قصيدة « الافعوان » امماً
لطريق شيدته « أمير غريب الطباع .. ثم مات الأمير .. وابقى الطريق .. »
وربما كانت باعث كلمة امير في ذهني ، اقتران كلمة - لابيرنتوس -
بشبه حكاية أسطورية تتعلق بتاريخ مصر القديم فقد حكى عن
هيروودوتس انه حين مر بمصر رأى بناء غريباً هائل الضخامة أشبه بلغز كبير
محيّر، من دخله لم يجد مخرجاً منه، شيدته أحد ملوك الاسرة الثانية عشرة .

ومن يدري ؟ لعل الملك الذي شيد هذا البناء أراد ان يتخذ منه مخبأ
لا يدركه فيه « أفعوانه » الخاص ... !

هياواثا Hiawatha

بطل أسطورة من أساطير هنود الشمال في أميركا اختارها الشاعر
الأميركي لونگفيلو موضوعاً للملحمة شعرية كتبها سنة ١٨٥٥ . والجزء الذي
تهمنا الإشارة اليه هنا من هذه الملحمة ، أن زوجة هياواثا الشابة قد ماتت
على أثر شتاء قاسٍ انشعب ثلوجه واعاصيره في القرية ، منزلاً بسكانها
الجوع والحمى والموت . ولذلك استعملت كلمة « هياواثا » في قصيدة
« لنكن أصدقاء » رمزاً لصرخات الاستغاثة والشكوى في كل أرض
يموت سكانها مدفونين في الثلج جائعين محنومين .

فهرس

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٣	مقدمة	٧٨	مرثية يوم تافه
٢٤	كبرياء	٨٢	الغاز
٢٧	يوتوبيا الضائعة	٨٦	جامعة الظلال
٣٢	تواريخ قديمة وجديدة	٩١	أجراس سوداء
٣٥	صراع	٩٣	نهاية السلم
٣٩	عندما انبعث الماضي	٩٧	أنا
٤٥	مسار القطار	١٠١	غرباء
٥١	عروق خامدة	١٠٤	اغنية الهاوية
٥٤	الجرح الغاضب	١٠٩	في جبال الشمال
٥٩	الباحثة عن الغد	١١٦	الى عمتي الراحلة
٦٢	الأفموان	١٢١	الكوايرا
٦٩	خرافات	١٢٥	لنكن أصدقاء
٧٤	جعود	١٣٢	جنازة المرح

<u>الصفحة</u>	<u>العنوان</u>	<u>الصفحة</u>	<u>العنوان</u>
١٣٥	يوتوبيا في الجبال	١٦١	الخيط المحدود في شجرة
١٤٢	وجوه ومرايا		السرو
١٤٥	قبر ينفجر	١٧١	القاري.
١٤٨	ذكريات	١٧٤	فهرس
١٥٢	تهم	١٧٦	صورة الغلاف
١٥٦	رماد		

صورة الفرف
بريشة الفنان الاستاذ
خالد الرمال

للشاعرة :

عائقة الليل

ديوانه شعر صدر سنة ١٩٤٧

صحح ما يلي

<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
ساخر	ساخر
ألموت ألموت ألموت	ألموت ألموت ألموت
البساط	البساط

6
Bibliotheca Alexandrina



0388155

حقوق الطبع محفوظة

مطبعة المعارف بغداد

٣٥٠ فلس